الحكومة العالمية عند برتراند رسل

دكتورة نجاح محسن

كلية الآداب - جامعة حلوان

٢٠٠٣

دار الفتح للإعلام العربي

الحكومة العالمية عند برتراند رسل
رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١٥٧٤٨
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977 – 5269 28 – 8
الطبعة الأولى : ٢٠٠٣

دار الفتح للإعلام العربي

طباعة * نشر * توزيع
جمهورية مصر العربية - القاهرة
الإدارة : ٢٢ شارع خيرت - السيدة زينب
المكتبة : ٣٢ شارع الفلكي - باب اللوق
ت : ٧٩٥١٠٧٣ فاكس : ٢٦٠٦٦٧٥

الحكومة العالمية عند برتراند رسل



إهداء

إلى المفكر العربي الكبير

عاطف العراقي

أهدي هذا العمل المتواضع

تقديرًا لفكره وعطاءه

واعترافًا بفضله

نجاح محسن



مقدمة

شغلت قضية الحرب والسلام أذهان المفكرين والمصلحين والفلاسفة منذ أقدم العصور حتى يومنا الراهن . وانقسموا حيالها فريقين : فريق رأى حتمية الحرب ، بل ومنهم من تطرف ودعا إليها ! ، في حين ذهب فريق آخر إلى الإيمان بحتمية السلام ، واعتبر الحرب وبالاً على الناس ، لابد من العمل على إزالتها ليحل السلام والمحبة بين البشر . وظلت آراء الفريقين المتعارضين قائمة في جميع العصور ، ملازمة لشتى المجتمعات ، ويدور النقاش الحاد بينهما عنيفاً أحياناً إلى حد تبادل الاتهامات .

أما في أيامنا هذه ، فلهذه القضية – الحرب والسلام – من الأهمية بمكان ، ما يجعلها " **قضية القضايا** " ، لأسباب نعرفها جميعاً ولا داعي لتكرارها .

وقد شغلت قضية الحرب والسلام ، الفيلسوف الإنجليزي العظيم برتراند رسل – في جانب كبير من حياته – لدرجة يمكن اعتباره – عن حق – " فيلسوف السلام " .

وقد رأى رسل أن السلام يمكن تحقيقه في حالة واحدة فقط ، وهي تكوين " **حكومة عالمية** " ينضوي العالم كله تحت لواءها ، هذه الحكومة لها من الصلاحيات ما يفوق بكثير منظمة الأمم المتحدة . وإذا لم يقم العالم بتكوين هذه الحكومة ، فلن يعرف العالم السلام قط .

وقد اختلفت النظرة إلى العالمية [١] من فيلسوف إلى آخر ، وهذا أمر طبيعي ، فالعوامل المؤثرة في الأفكار السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، تختلف باختلاف المكان والزمان . ومهما يكن من أمر ، فإن ما يهمنا في هذا الكتاب هو أن نصل إلى خلاصة أراء " **فيلسوف السلام** " برتراند رسل حول " **الحكومة العالمية** " ، لنرى إلى أي مدى يمكن تحقيقها ، ولنبحث عن الوسائل التي تحقق هذا الهدف ، ولنعرف العوائق التي تحول دون تحقيقه ، وكيفية التغلب عليها .

ويمكننا القول أن للعالمية تقسيمات متعددة ، فقد تكون عالمية مفتوحة لا تخضع لأي قيد ، وقد تكون ضيقة النطاق أو مقيدة ، ومن ثم تخضع لشروط وأوضاع معينة ، وقد تكون العالمية دينية ، وقد تكون علمية ، أو إيديولوجية ، أو ثقافية ... وهكذا . ولعل تحليل كل من هذه العالميات من وجهة نظر برتراند رسل ، وعرض آرائه الفلسفية الخاصة بها ، يعطينا صورة حية للتفكير السياسي في هذا

---

[١] العالمية مشتقة من لفظ " العالم " الذي يطلق على الكوكب الذي نسكنه ، وعلى هذا فمنذ تكونت الكرة الأرضية والعالمية قائمة . وهذه الكرة بأبعادها الثلاثة الأرضي والمائي والجوي ، وحدة متكاملة لا ينقص منها اختلاف التركيب أو تباين السطح والتضاريس ، أو تباعد أجزاءها واختلاف مناخها ، أو وجود موانع طبيعية من جبال ومحيطات ، بحيث تكون سببًا في انعزال أجزاء هذا الكون عن بعضها بعضًا ، فالعالمية إذن أساسها وحدة العالم الجغرافية وما طرأ عليها من تغيرات ، وهي ما تعرف بالتطور الجغرافي . انظر : جون . أ . هامرتون (بالاشتراك مع آخرين) : تاريخ العالم – ترجمة : وزارة التربية والتعليم – ط١ – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٤٨ – ص ٨٣ .

المجال ، وتأثيره في حركة التطوير التي تؤدي إلى قيام الحكومة العالمية .

وقد حاولت من خلال هذا الكتاب الإجابة عن عدة تساؤلات ، تشكل الإجابة عليها معرفة الرؤية العميقة المتكاملة لبرتراند رسل ، حول أهم قضية على اختلاف العصور " **الحرب والسلام** " . ومن هذه التساؤلات :

- إذا كان العالم قد وجد كوحدة جغرافية واحدة لا تتجزأ ، فلماذا إذن تفتت إلى وحدات مميزة تتفاوت بين الصغر والكبر ؟ ، ولماذا تفتت الجنس البشري رغم وحدة الأصل ، إلى أجناس وقبائل وأمم وشعوب ، يميز بينها الجنس واللون واللغة والدين والعادات والتقاليد ، وكل منها ينتمي إلى رقعة من الأرض تتصارع وتتطاحن ؟ .
- ما هي أسباب الفرقة بين الشعوب ، والتي تتسبب في نار إشعال الحروب ، وتعوق بالتالي قيام حكومة عالمية ، وكيف نعالج هذه الأسباب ؟ .
- أيهما تكون له الأولوية في ترتيب الأهداف ، مجتمع دولي موحد يتمثل في حكومة عالمية ، أم مجتمعات وطنية أو قومية فرادى ؟ .
- هل تعني الوحدة بين الشعوب ، وامتثالها جميعًا لسلطة واحدة تتمثل في حكومة عالمية ، أن تتلاشى الفردية ، أو تتلاشى

الشخصية التي تميز كل دولة عن الأخرى ؟ . وبعبارة أخرى : هل تتعارض الوحدة العالمية مع مبدأ السيادة والقومية ، التي ترغب كل دولة أن تتمتع به ؟ .

وللإجابة عن هذه التساؤلات ، فقد قسمت الكتاب إلى أربعة فصول ، تناولت في الفصل الأول منها محاولات الفلاسفة - على اختلاف انتماءاتهم في القديم والحديث - في تحديد طبيعة الوحدة العالمية ، وكيفية تحقيقها ، وأبرزت التنوع الهائل الذي مرت به هذه الفكرة منذ القدم وإلى الآن .

وفي الفصل الثاني ، تناولت تصور برتراند رسل للأسباب التي تؤدي إلى إشعال نيران الحروب ، والتي تعوق قيام الحكومة العالمية وتهدد السلام . وقد اتضح من خلال هذا الفصل مدى إلمام برتراند رسل بكل الأسباب التي يستطيع فيلسوف أو مفكر أن يصل إليها ، والتي تتسبب في نشوب الحرب .

أما في الفصل الثالث ، فقد تناولت فيه موقف برتراند رسل من قضية الدولة القومية ذات السيادة المطلقة ، وكيف أن هذا النوع من التنظيم الدولي المعاصر ، سيؤدي حتمًا إلى إشعال نيران الحروب ، وهذا الفصل يعد امتداداً طبيعيًا للفصل الثاني ، الذي تناولت فيه معوقات قيام الحكومة العالمية ، إلا أنني آثرت تناول هذه القضية في فصل منفرد ، لما لهذه المسألة من أهمية جد خطيرة في منع قيام اتحاد عالمي .

أما الفصل الرابع والأخير ، فقد تناولت فيه الخطـــوات التـــي رأى رسل أنها لابد من اتخاذها لقيام الحكومة العالمية ، فهذه الخطوات تعتبر مقدمات لنتيجة ، هي قيام الحكومـــة العالميـــة وظـــهورها إلـــى الوجود .

هذه فكرة مختصرة عن القضايا التي يحتويها هـــذا الكتـــاب ، والذي أرجو أن يملأ فراغاً في مكتبتنا العربية ، لما لقضية السلام مـــن أهمية كبيرة لا يغفلها أحد ، وقد بذل الكثـــير مـــن الفلاســـفة الجـــهود الكبيرة ، في بيان أسباب الحروب ، وكيفية علاجها والوســـائل التـــي يجب أن يتخذها الإنسان ليحل السلام العالم ، إلا أن مجهوداتهم حـــول هذه القضية ، لم تجد الاهتمام الكافي من قبل البـــاحثين . وأرجـــو أن يكون هذا الكتاب بداية للكثير من الدراســـات حـــول هـــذه القضيـــة الخطيرة . ومن ناحية أخرى أرجو أن يجد هذا العمـــل صـــدى لمـــا لأفكار برتراند رسل حول السلام ، من أهمية لا يغفلها أحد ممن يدعـــو إلى السلام .

نجاح محسن

الفصل الأول

فلسفة الوحدة العالمية قبل برتراند رسل

مدخل :

نناقش في هذا الفصل محاولات الفلاسفة قبل برتراند رسل لتحقيق الوحدة العالمية . ونود القول أننا سنقتصر على محاولات الفلاسفة الذين تحدثوا عن العالمية المطلقة ، التي لم تميز بين جنس وجنس أو دين ودين أو حضارة وحضارة ، بل حاولت تحقيق العالمية الإنسانية بشكل عام ، ونستبعد بالتالي محاولات الفلاسفة لتحقيق العالمية المقيدة ، والتي تقتصر على دين معين كالدين الإسلامي أو الدين المسيحي ، أو العالمية المقيدة بحضارة معينة كالحضارة الأوربية أو الحضارة العربية ٠٠٠ وهكذا ، فهذه العالمية تخرج عن إطار هذا الكتاب .

أولاً : فلسفة الوحدة العالمية في الفلسفة القديمة والوسيطة

١ - العالمية الرواقية " عالم واحد وجنس بشري واحد " :

لعل أول من فكر في الوحدة العالمية بمعناها الشامل هم " الرواقيون " ، فهم ينظرون إلى العالم نظرة شاملة عميقة لا تأخذ في اعتبارها أي عامل من عوامل التفرقة أو التمييز ، فهم يقولون : " إن الله أب لجميع الناس ، فنحن جميعًا أخوة ، ويجب على الإنسان ألا يقول إنني أثيني أو إنني روماني ، بل يجب عليه أن يقول : إنني

مواطن في هذا العالم . والعبيد متساوون مع غيرهم من النـــاس لأننـــا جميعًا أبناء الله " [١] .

إذن الوحدة العالمية في نظر الرواقيين ، تستند إلـــى الفلســفة القائمة على وحدة الكوكب الذي نسكنه ، وأن الجنس البشري جميعـــه من أصل واحد . وهذه الفلسفة لا تعترف بالفوارق بين الإنسان وأخيـــه الإنسان ، أو بفوارق اللغات والأديان والأوطان والألوان ، فالناس فـــي ظل هذه الوحدة العالمية يصبحون جميعًا أعضاء في أســـرة واحـــدة ، قانونها العقل ، ودستورها الأخلاق ، وقانونها الطبيعـــي يعمـــل علـــى اتحاد جميع الأفراد في مدينة العالم [٢] .

وقد حاول الرواقيين القضاء على العصبية التي كان يتمتع بـــها اليونان ، وخطوا في سبيل هذا خطوات جديدة ، فـــأحلوا " الإنســـان " محل " المواطن " ، أي أنهم مالوا إلى اعتبار الإنسانية أسرة واحـــدة ، أعضاؤها أفراد البشر عامة أيًا كانت نحلهم وألسنتهم وبلادهم .

تلك هي الجامعة الإنسانية " التي نادى بها أصحاب الرواق فـــي العصر القديم . وتذهب تلك الوحدة العالمية إلى القول بوجـــود رابطـــة

---

[١] يشبه الرواقيون الكون بكائن حي له روح ، هذه الروح تسمى الله أو العقل ، والله حر منـذ الأزل وقرر أن يعمل وفقًا لقوانين عامة ثابتة . وقد اختار القوانين التي تعطي أفضل النتائج . انظر :
Bertrand Russell : History of western philosophy – London : George Allen and Unwin Ltd . – 1946 – P . 289 .

[٢] Ibid P P . 275 – 293 .

وانظر أيضًا : محمد حسن الإبياري : المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكومـــة العالميـــة – الهيئـــة المصرية العامة للكتاب– القاهرة – ١٩٧٨ – ص ٢٥ .

أخلاقية وثقى تربط بين الآلهة وبين بني الإنسان . ذلك أن أهل الرواق كانوا يعتقدون أن روح الإنسان لا تختلف في جوهرها عن " عقل الكون " ، وأن الآلهة والناس ليسوا في الحقيقة إلا أجزاء من هذا العقل الكوني . ولما كان الإنسان مخلوقًا قد أعدته الطبيعة للاجتماع والعمران ، فقد وجب على الناس أن يكونوا إخوانًا ، وأن يؤلفوا فيما بينهم ما يسميه الرواقيون " مملكة العقل " ، وهي مملكة تشمل أفراد الإنسانية جميعًا ، باعتبار أنهم أوتوا نصيبًا واحدًا من العقل ، وأنهم مهيأوون للفضيلة .

إذن فالدولة المثالية عند الرواقيين لا تعرف حدودًا ولا فروقًا ، بل هي " مجتمع عقلي " يضم البشر أجمعين ، وإن شئت فقل هي إمبراطورية مثالية واسعة الأطراف ، حتى قال " بلوطرخوس " مشيرًا إلى هذه الفكرة : " إن ما مهدت له فتوحات الاسكندر من طريق التاريخ ، قد أتمته الفلسفة من طريق العقل " .

لكن يجب أن لا يغيب عن بالنا أن الرواقيين لم يريدوا بهذه الإمبراطورية الواسعة أن تكون قوة سياسية ذات كيان مادي ، بل أرادوها جامعة روحية تقوم قبل كل شيء على وحدة المعرفة والإرادة . والحق أن فكرة " الجامعة " هذه لم يكن لها أول أمرها علاقة بالسياسة مطلقًا ، إذ المدن الإنسانية الواقعية تقتضي بين البشر فروقًا وضروبًا من التفاضل وعدم المساواة ، في حين أن " المدينة

الفاضلة " أو " المدينة الإلهية " – في نظر أصحاب الرواق – إنما هي مجتمع تحل فيه الوحدة العقلية محل الوحدة السياسية [١] .

٢ – العالمية الرومانية " خالق واحد وقانون طبيعي واحد " :

لم تقتصر المناداة بالعالمية المطلقة على الفلسفة الرواقية ، ولكنها امتدت إلى فلاسفة الرومان الذين تأثروا بالمبادئ التي وضعها الرواقيون ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بفكرة القانون الطبيعي ومبادئ العدالة العامة ، ومن فلاسفة هذا الاتجاه :

شيشرون (١٠٦ – ٤١ ق ٠ م) :

يقدم شيشرون نظرية تستند إلى وجود قانون طبيعي عام ، مبعثه أن هذا الكون ليس له سوى خالق واحد هو الله . ولا يمكن أن يكون لله سوى قانون واحد هو القانون الطبيعي ، الذي يسري على جميع البشر بلا استثناء ، وعلى ذلك يجب أن يكون هذا القانون الطبيعي هو دستور العالم أجمع .

يقول شيشرون في كتابه الجمهورية : أن هناك قانون طبيعي سام ، يصدر عن أصل إلهي يربط أفراد الإنسانية جميعًا ، ويدين له الجميع بالطاعة ، حتى الدولة لا تجد بدًا من الخضوع لأحكامه ، وهو قانون صحيح ، لأن العقل المستقيم يتلاءم والطبيعة العالمية . كما أنه قانون أبدي لا يتزعزع ، قائم مدى الدهر إلى الأزل ، تدعو أوامره

---

[١] عثمان أمين : الفلسفة الرواقية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٤٥ – ص ١٧٢ – ١٧٣ .

إلى أداء الواجب ، وتبعد نواهيه الأفراد عن طريق الشر ، إنه قـــانون لا يعترضه قانون آخر ، ولا تناقض ولا تناسخ بين جميـــع أجزائـــه ، وليس ثمة قوة كائنة ما كانت تستطيع أن تجعلنا في حل عن الخضـــوع لأحكامه ، وهو كائن فينا وليس بحاجة إلى شيء يثبت وجوده ، وليـــس في حاجة إلى قوة تشد أزره ، إنه في روما هو نفسه في أثينا ، وليـــس غدًا إلا على ما عليه اليوم ، وهو صالح لكل زمان ومكان يسود جميـــع الأمم في مختلف العصور ، إنه دائم واحد لا يبلى وهو سيد القوانيـــن جميعًا . والله وحده هو الذي سن هذا القانون ، وصدر عنـــه بفيـــض منه ، وضمن سيادته ونفاذه ، وأعجز الإنسان عن الافتئات عليه ، وإذا تنكر الفرد لهذا القانون فقد تنكر لطبيعته ، وهـــو لا محالـــة مـــأخوذ بالقصاص العادل ليكفر عن وزره .

وعلى هذا النحو يتضمن القانون الطبيعي القواعد الضروريـــة للقانون العام والخاص ، ويستمد دعائمه من الفلسفة ذاتها التي توضـــح لنا أن في البشر عقلاً كليًا مشتركًا ، وهذا العقل المشترك هو القـــانون ذاته وهو الأساس الوحيد للعدالة الحقة . إن هذا القانون كامن في قلوب الناس جميعًا ، يتحدث إليهم بلغة واحدة ، وهو آت مـــن الله ويربطـــهم بالله عز وجل ، ولد معهم ويعيش في كنفهم ، وهو ليس قانونًا مكتوبًـــا أو مقروءًا في الكتب ، ولا يتعلمه الأفراد ولا يأخذونه عن الغير . إنـــه موجود وسائد في الطبيعة ، وهو العقل في جـــلال صورتـــه ، وهـــو والعقل ينبعان من أصل قدسي ولا يتغيران .

فالقانون الطبيعي هو مصدر الحقوق جميعًا ، وهـــو الحكمـــة الخالدة التي تسيطر على العالم . أما ما عداه من القوانيـــن الوضعيـــة والتشريعات المختلفة فليس خليقًا باسم القانون ، إلا ما كان منها متفقًـــا مع القواعد الخلقية الطبيعية . أما ما يتعارض مع هذه المبادئ فيجـــب رفضه لأن الطبيعة تعارضه وتأباه . ويوجد شيء أسمى من الدولـــة ألا وهو العقل والحق والقانون الطبيعي الذي يشرع لها ، فلا تجد بدًا مـــن الخضوع لأوامره ونواهيه .

ولما كان القانون الطبيعي قانونًا عامًا تخضع لـــه المجتمعـــات الإنسانية ، أصبحت الدول الجزئية - في ضوء هذا الاعتبار - أعضاء في وحدة كلية واحدة يسيطر عليها العقل وتحكمها العدالة الطبيعيـــة . هذه الوحدة هي الدولة بالذات ، هي المجتمع السياسي المثـــالي ، هـــي الجامعة الإنسانية التي دعا إليها زينون مؤسس المذهـــب الرواقـــي ، وهي جامعة جمهورية يعيش أفرادها على وفاق الطبيعة ، ويعتبر الفرد فيها مواطنًا عالميًا حرًا ، لا تقيده اعتبارات الدين والجنس واللغـــة أو عواطف القوميات ، ولا يقف في سبيله اختلاف البيئات وتباين مقومات الحضارة .

فالأفراد إذن يعيشون في هذه الجمهورية العالمية أخوة ، أمـــهم المشتركة هي الطبيعة ، تحنو عليهم . وما داموا كذلك فلابد أن يكونـــوا متساوين في الحقوق والواجبات . وقد أدت هذه الاعتبارات بشيشـــرون إلى المناداة بفكرة " حقوق الشعوب " أي تطبيق فكرة المساواة والعدالـــة على مختلف الشعوب الإنسانية ، ونادى بوجوب احترام هذه الحقـــوق

حتى في أيام الحرب . وقد سيطرت عليه هذه الأفكار ودافع عنها دفاعا حارا ، وعرضها بالتفصيل في كتابه " في الواجبات " الذي يعتبر أول كتاب في التاريخ القديم يدافع عن فكرة العدالة حتى بالنسبة للأعداء ، ويدافع كذلك عن مبادئ حقوق الشعوب وضرورة احترامها . وقد عرض شيشرون في هذا الكتاب ما ينبغي أن يتخذ حيال الأعداء في زمن الحرب والسلم ، ووضع لأول مرة المبادئ العامة التي ينبغي أن تصاغ في ضوئها قوانين الحرب . وبالغ شيشرون في تقدير سلطة هذا القانون المقدس ، وأوصى مواطنيه بأن يحترموا أعدائهم وأن يخلصوا في عقد المعاهدات . وأوصى رجال الدولة أن يراعوا عند تنفيذ المعاهدات الروح التي أملت عقدها ، ولا يتقيدوا بالنصوص ويتزمتوا في التطبيقات . وأوصاهم كذلك بعدم المغالاة في الخصومة وعدم إطالة زمن الحرب ، لأن السلام هو الظاهرة السوية التي تنعم في ظلها الشعوب ، وهو الحالة الطبيعية التي يطمئن إليها " العقل السليم " .

وفي ضوء هذه الاعتبارات نستطيع أن نقرر أن شيشرون كان يدعو بحرارة إلى فكرة الأخوة بين الشعوب الإنسانية ، وهي فكرة ظلت غريبة عن أذهان السابقين وبعيدة عن تصوراتهم السياسية .

بيد أنه توجد لنظرية شيشرون في " حقوق الشعوب " نتائج منطقية أبعد من ذلك مدى ، وأخطر شأنا ، وأعمق تأثيرا في تاريخ البحث السياسي ، فما دام القانون الطبيعي قانونا مطلقا مستقلا عن الزمان والمكان ، وأملاه العقل المستقيم ، فإن النتيجة المنطقية لذلك أن

يحكم هذا القانون سير العلاقات بين الدول باعتبارها وحدات سياسية ، كما يحكم علاقات الأفراد . ومن ثم يترتب ضرورة على الطبيعة المطلقة للقانون الطبيعي ، وجود الوحدة النوعية للنظام القانوني بمختلف أشكاله ومظاهره . وبذلك انتهى الأمر بفكرة القانون الطبيعي إلى أن فرضت على العالم فكرة " الجماعة القانونية " . وغني عن البيان أن هذه الفكرة هي الدعامة الجوهرية التي يرتكز عليها القانون الدولي العام في نشأته وتكوينه [1] .

سينيكا (ولد عام ٤ ق . م) : يعتقد سينيكا أن الفرد ينتمي إلى مجتمعين سياسيين في آن واحد : المجتمع السياسي للدولة الذي هو أحد مواطنيها ، ومجتمع الدولة الكبرى الذي يتكون من البشرية جمعاء ، والفرد ينتمي إلى هذا المجتمع العالمي بصفته إنسانا .

ويشيع في مؤلفات سينيكا كلمة " الإنسان " بدلا من كلمة " المواطن " . يقول سينيكا : " إن اتصال الإنسان بالإنسان في المجتمع ، لدليل على وجود قانون مشترك يحكم البشرية " . ويقول أيضا : " إننا أعضاء في هيئة واحدة عظيمة ، ومع ذلك لا يخجل الناس من إظهار الفرح إذا ما سفك بعضهم دم بعض ، ومن إشعال نار الحرب ، ومن توريث أبنائنا مزيدا من الحروب ، بينما تعيش الحيوانات الخرساء في سلام مع أنواعها ، أما الإنسان ، وهو الشيء

---

[1] د . مصطفى الخشاب : تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية – مطبعة لجنة البيان العربي – القاهرة – ط١ – ١٩٥٣ – ص ٢٠٢ وما بعدها .

المقدس لأخيه الإنسان فإنه يذبح علناً " . ويقول كذلك : " إن واجب الإنسان أن يساعد أخاه الإنسان " [١] .

ومع أن مثل هذه العبارات لم تكن تعني الكثير لأبناء ذلك العصر ، إلا أنها كانت على الأقل بشائر أمل خافت ، قد يسطع يوماً رغم اليأس من سطوعه خلال قرون كثيرة ، فقد تكونت على أي حال فكرة وجود مصلحة جوهرية بين أبناء كل الأجناس ، مصلحة تقوم على أساس التشابه بين الناس ، فكوّن الرومان سلطة مركزية موحدة للإشراف على جميع محاكم الإمبراطورية الرومانية ، ووضعوا مبدأ مساواة جميع الأفراد أمام القانون . وعندما استتب الأمر للإمبراطورية الرومانية ، أصبحت الأفكار الخاصة بالقانون العالمي والمواطن العالمي حقائق واقعية .

٣ ـ العالمية الدينية " الإيمان بالإله الواحد " :

جانب ثالث للعالمية المفتوحة هو عالمية الأديان . ولعل إخناتون " الفرعون المصري " هو أول من تصور فكرة المجتمع القائم على عقيدة الإيمان بالإله الواحد ، التي تستند إلى أن جميع البشر أخوة [٢] .

---

[١] دليل بيرنز : المثل السياسية – ترجمة : لويس اسكندر – سلسلة الألف كتاب " ٤٩٩ " – مؤسسة سجل العرب – القاهرة – ١٩٦٤ – ص ٩٣ – ٩٤ .

[٢] جيمس هنري برستيد : فجر الضمير – ترجمة : سليم حسن – مكتبة مصر – القاهرة – ١٩٩٥ – ص ٢٤٨ وما بعدها .

ثم ظهرت الأديان السماوية الثلاثـــة : اليهوديـــة والمســيحية والإسلام . أما بالنسبة للديانة اليهودية ، فإنها تؤمن بـــالتوحيد ، غـير أنها انحصرت في اليهود دون سواهم ، ادعاء منهم بأنهم " شـــعب الله المختار " ، وأن هذا يتطلب عدم اندماجهم في الأمم أو السماح للشعوب الأخرى بالاندماج فيهم ، ومن هنا لم تكن اليهودية عالمية النزعـة [1] . ولم يكن بالطبع هناك فلاسفة يعبرون عن النزعة العالمية لأن ديانتـــهم " اليهودية " لم تتمتع بهذه النزعة .

وجاءت بعد اليهودية : المسيحية ثم الإسلام ، ويتميز كل مـــن يعتنقهما بأنه عالمي النزعة ، بصرف النظر عن الجنـس أو اللغـــة أو اللون ، وغيرها من وسائل التفرقة . ومع أنه توجد ديانات أخرى مثـل البوذية والهندوسية تشترك مع المسيحية والإسلام في الأفكار الخاصـــة بالمجتمع البشري العالمي ، إلا أنها ليست عالمية النزعة أسوة بـــهذين الدينين ، فالمسيحية ثم الإسلام حقق كل منهما عالمية دينيـــة كـبرى ، كان قوامها وحدة الدين والعقيدة التي انضوت تحـت لوائـــها شـعوب مختلفة ، اتجهت نحو قمة النظام العالمي الذي يمثـل هـــذه الديانـــة أو تلك ، كما سنوضح حالاً .

أ – الفلسفة المسيحية :

---

[1] انظر :

Bertrand Russell : History of western philosophy – P P. 328 – 332 .

تستند الفلسفة المسيحية إلى العقيدة المسيحية . وهذه الفلسفة يعتبرها بعض الكتّاب امتداداً للفلسفة الرواقية . والمسيحية حركة عالمية بكل معنى الكلمة ، فقد أورثت روما العالم - بعد أن زالت دولتها - فكرة الإمبراطورية العالمية ، وحققت الكنيسة الكاثوليكية [١] هذه الفكرة على أكمل صورة إبان العصور الوسطى ، فكانت البابوية هي الوارث الحقيقي للإمبراطورية الرومانية .

وقد أصبحت الكنيسة الكاثوليكية أكبر الكنائس من ناحية النفوذ الديني . وتقوم الكنيسة في مجال العلاقات الدولية - استناداً إلى المبادئ المسيحية - بدور هام . وقد استمرت البابوية - وهي السلطة الروحية العالمية - في تعزيز فكرة العالمية السياسية ، حيث اعتبرت حصناً لما يمكن وصفه بروح العالمية ، فوضعت الكنيسة حدّاً للمخاوف التي كانت تثيرها الحروب المتوالية التي سادت العصور الوسطى بين البارونات والأمراء المتنافسين ، كما حرّمت " الهدنة الإلهية " الحروب في أيام معينة من الأسبوع وفي فصول معينة من السنة ، وقام البابا بدور التحكيم لفض المنازعات بين الحكام [٢] .

---

[١] أطلقت الكنيسة المسيحية على نفسها اسم " الكاثوليكية " أي الشاملة أو العالمية . انظر : برتراند رسل : حكمة الغرب - جـ ١ - ترجمة : فؤاد زكريا - سلسلة عالم المعرفة - " ٦٢ " - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٩٨٣ - ص ٢٢٤ .

[٢] انظر : بيير جربييه : المنظمات الدولية الحديثة - ترجمة : محمد أحمد سليمان ، حسن الأشموني - مؤسسة سجل العرب - القاهرة - ١٩٦٣ - ص ٩ - ١٠ ، وانظر أيضًا :
Dainel S. Cheever and Havilan H . Field : Organizing for Peace international Organization in world Affairs - U . S . A - Houghton Mifflin company - 1954 - P 20 - 21.

ويؤكد برتراند رسل ، أن الديانة المسيحية استطاعت أن تقدم للجنس البشري بأسره الشعور التعاوني الذي ينشأ غريزيًا نحو الزملاء في القبيلة . وقد بشَّرت بأخوة البشر ، وأوضحت باستعمالها كلمة " أخوة " أنها تحاول جعل موقف وجداني – كان في الأصل بيولوجيًا – يتجاوز حدوده الطبيعية ، فإذا كنا جميعًا أبناء الله فلابد أن نكون جميعًا أسرة واحدة [1] .

إن ما ورد عن الأخوَّة في الإنجيل والعبارات العظيمة التي قالها الرسول بولس : " ليس هناك يهودي أو إغريقي " ، لم تكن اعتراضًا على الانفرادية اليهودية فحسب ، بل اعتراضًا على كل اختلاف عنصري يقف عقبة في سبيل الاعتراف بالإنسانية المشتركة ،

---

[1] برتراند رسل : السلطة والفرد – ترجمة : لطفية عاشور – سلسلة الألف كتاب الثاني " ١٤٤ " – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٤ – ص ٢٢ . ويعلق رسل على رأيه بالقول : " ولكن عندما وضع الأمر موضع التنفيذ شعر أولئك الذين اعتقدوا هذه العقيدة " المسيحية " أن الذين لم يعتنقوها ليسوا أبناء الله بل أبناء إبليس ، وعاد التركيب القديم – نظام الكراهية لمن هم خارج القبيلة – ، ليضف قوة جديدة للعقيدة . ولكن في اتجاه ينحيها جانبًا عن هدفها الأصلي . ذلك أن الدين والأخلاقيات والمصلحة الاقتصادية الذاتية — بل مجرد السعي للبقاء بيولوجيًا — كلها تزود أذهاننا بمناقشات لا يمكن الرد عليها — لصالح التعاون العالمي . ولكن الغرائز القديمة التي ورثناها من أجدادنا في القبيلة تهب غاضبة لتشعرنا بأن الحياة سوف تفقد نكهتها إن لم يكن فيها من نكرهه ، وأن أي شخص استطاع أن يحب وغدًا مثل فلان الفلاني ، لابد وأن يكون دودة ، وأن الصراع هو قانون الحياة ، وأنه لن يكون هناك ما نعيش من أجله في عالم يحب فيه الكل بعضهم بعضًا ، وإذا قدر لعملية توحيد البشرية أن تتحقق ، فسيصبح من الضروري أن نوجد طرقًا للتغلب على وحشيتنا البدائية ، ومعظمها لا واعية ، وذلك بتأسيس سيادة القانون من ناحية ، وإيجاد منافذ بريئة لغرائز التنافس لدينا من ناحية أخرى " . انظر المصدر السابق ونفس الصفحة .

ومن الواضح أن هذه الفكرة الأخلاقية الدينية قد أثـــرت فـــي تنظيـــم العلاقات السياسية بين أبناء الأجناس المختلفة [١] .

وهنا نتساءل : ما هي المبادئ والأفكار التـــي اســـتندت إليـــها عالمية المسيحية ؟ .

فكرة الخلاص للجنس البشري [٢] :

استندت عالمية المسيحية إلى تعاليم السيد المسيح ، وفـــق مـــا جاءت في العهد الجديد . وقد تولى شرح هذه التعـــاليم آبـــاء الكنيســـة والكتاب والفلاسفة المسيحيون . وتدور فلسفتهم جميعـــا حـــول وحـــدة العالم ، على أساس أن الخلاص الذي جاء به الســـيد المســـيح ، إنمـــا يشمل الجنس البشري جميعه ، لا فرق في ذلك بين حر وعبد ، أو بيـــن يهودي وأممي [٣] .

ويعتبر القديس " أوغسطين " (٣٥٤ – ٤٣٠) مـــن الـــرواد الأول في فلسفة الدين المسيحي ، وضمن أفكاره وفلسفته التي من بينـــها

---

[١] دليل بيرنز : المثل السياسية – ص ٩٤ .

[٢] انظر : برتراند رسل : حكمة الغرب – ص ٢٥٠ ، علي زيعور : أوغسطينوس ، مع مقدمـات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة – دار اقرأ – بيروت – ط ١ – ١٩٨٣ – ص ٦٢ .

[٣] كان اليهود يفرقون فيما بينهم وبين الشعوب الأخرى التي كانوا يطلقون عليها لفظ " الأمـــم " ، فلما جاءت المسيحية حطمت كل أنواع التفرقة ، واعتبرت الجنس البشري كله وحدة واحـــدة دون تفرقة . وقد بدت هذه الحقيقة في أقوال السيد المسيح ، ثم في أقوال التلاميذ والرسل الـــتي يضمـــها الكتاب المقدس .

إيجاد " كومنولث مسيحي " كتابه المعروف بـ " مدينة الله " . ويرى القديس أوغسطين أن الفرد ينتمي إلى مجتمعين أو دولتين في وقت واحد : أحدهما روحي والآخر مادي . ويوضح ذلك فيقول : " إن الإنسان مكّون من روح وجسد ، فهو ينتمي إلى وطنين هما السماء والأرض ، وهذا يحتم أن تكون أمور الناس قسمين : دينية مصدرها الروح ، ودنيوية مصدرها الجسد . الدينية من اختصاص الكنيسة ، والدنيوية من اختصاص الدولة ، والدولة يجب أن تخضع للكنيسة وتنفذ أوامرها " [١] .

وللقديس أوغسطين نظرية رائعة عن دولة الله وسياسة الله ، وهي في لغتها الدينية تشير إلى نفس النزعة العالمية ، يقول : " إن هذه الدولة السماوية تقبل مواطنيها من كل الأجناس ، وتتألف جماعة الحجاج من أناس يتحدثون كل لغة ، فهي لا تأبه باختلاف العادات أو القوانين أو نظم الحكم ، وبهذا تحقق السلام على الأرض أو تحافظ عليه ، وهي لا تلغي هذه الأشياء أو تقضي عليها ، بل تبقيها وتسمح باتباعها ، لأن هذا الخليط من القبائل المختلفة إنما يتجهون نحو غاية واحدة هي السلام الدنيوي ، ما داموا لا يقفون في وجه تلك الديانة التي تنادي تعاليمها بعبادة الإله الحقيقي الوحيد " [٢] .

ولطالما أشار القديس أوغسطين في مواعظه ، إلى اشتراك الناس جميعًا في طبيعة واحدة ، لأن الإنسان خلق على صورة الله .

---

[١] علي زيعور : أوغسطينوس – ص ٢٢٤ وما بعدها .

[٢] دليل بونز : المثل السياسية – ص ٩٤ – ٩٥ .

ويدل على هذا أن الانفرادية العنصرية كانت في سبيل الانهيار الكامل ، على الأقل من الوجهة الدينية . أما أثر ذلك على العلاقات السياسية بالأجانب ، فقد كان أثرًا طبيعيًا محتومًا ، لأن زوال العلاقات الخاصة بين الإله وأي جنس من الأجناس ، جعل من المستحيل على أي إنسان ينتمي إلى جنس ما ، أن يكون أسمى مرتبة ممن هم في نظره أجانب [١] .

وقد ظلت هذه الفكرة باعتبارها مثلاً أعلى ، محدودة دائمًا ، لأنها لم تطبق إلا على مجموعة من الأجناس وليس على كل الأجناس بصفة عامة ، وعندما انتهت غزوات البرابرة ، لم يكن في أوروبا جنس يعتزل جنس غيره بسبب العنصرية ، سواء من الوجهة النظرية أو في تصرفاته العملية ، كما كان الحال لدى الإغريق والرومان ، ولم يخل الأمر من أن أبناء الأجناس المختلفة ظل يتملكهم احتقار بدائي للأجانب ، غير أن كل من كان منتميًا إلى المجموعة الأوربية ، كان يعامل على قدم المساواة مع غيره ، وعلى ذلك تحققت عالمية العصور الوسطى في جماعات الفرسان والقساوسة الكاثوليك ، وفي عالمية العلماء .

غير أن عالمية الأجناس أو المساواة بينها ، لم تتجاوز الأمم الأوربية ، فحتى اليهود وهم على علاقة وثيقة بالمجتمع الأوروبي ، كانوا يعتبرون من " الأجانب " . ومع أن هذا الضيق في أفق العالمية

---

[١] دليل بيرنز : المثل السياسية – ص ٩٥ .

كمثل أعلى ، قد أصبح الآن أقل ظهوراً من حيث الدين ، فإنه مـــا زال موجوداً في التباين السياسي بين مــــا يســـمى الشـــرق ومـــا يســـمى الغرب [(١)] .

ب – الفلسفة الإسلامية :

هناك من الفلاسفة المسلمين من نادى بتنظيم عالمي شامل مثـل الفارابي ، ومنهم من نادى بوحدة إقليمية تستند إلى الأسس الدينية مثـل الكواكبي وجمال الدين الأفغاني ، وسوف نتناول فلسفة الفارابي فقـــط لأنه ينتمي إلى العالمية المطلقة " موضوع دراستنا " .

نادي الفارابي بإقامة اتحاد بين الشعوب تحت رئاسة شـــخص واحد ، وإذا تعذر إيجاد الشخص الذي يصلح لهذه الرياســـة ، أســـندت الرياسة لجماعة تتوافر فيها هذه الصفات [(٢)] .

ويرى الفارابي أن قيام هذا الاتحاد ضـــرورة تحتمـــها حاجـــة الشعوب إلى بعضها البعض [(٣)] .

غير أنه يؤخذ على الفارابي أنه اهتم بالصفات الواجب توافرها في الرئيس الأعلى للتنظيم الدولي ، أكثر من اهتمامه بالنظم والقوانيـــن التي تحكم الاتحاد ، على عكس المفكرين الأوربيين الذين حصروا كـل

[(١)] دليل بونز : المثل السياسية – ص ٩٥ .

[(٢)] أبو نصر الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة – تقديم وتحقيق : ألبـــير نصـــري نـــادر – المطبعـــة الكاثوليكية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٥٩ – ص ١٠٥ وما بعدها .

[(٣)] المصدر السابق : ص ٩٦ .

جهودهم في تنسيق النظم والقوانين ، دون أن يفكـروا فـي الصفـات الواجب توافرها في المشرفين على هذه التنظيمات .

ثانيًا : فلسفة الوحدة العالمية في الفلسفة الحديثة والمعاصرة

تحدثنا عن فلاسفة اليونان والرومـان الذيـن تنـاولوا فكـرة العالمية ، وأصبحت في مفهومهم ترادف كلمـة الإنسـانية ، واتسـع نطاقها لمجتمع عالمي واحد يضم الجنس البشري بأسره ، واتخذوا مـن وحدة الكوكب الذي نسكنه ومن القانون الطبيعي ، دستورًا لهذا العـالم الواحد . ثم جاءت عالمية المسيحية ، فالإسلام امتـدادًا تقدميًـا لـهذه الأفكار عن العالمية . ثم ظهرت القومية معاصرة لقيام الدولة القومية ، ورغم ذلك فقد ظهر من الكُتّاب والفلاسفة ، من نادى بالعالمية بمعناهـا الواسع ، مثل دانتي ، وكروشيه ، وليبنتز ، وكانط ، وبنتام . وكل مـن هؤلاء نظر إلى العالمية من زاوية معينة ، تختلف عن الزوايـا التـي نظر منها الآخرون .

واختلاف هذه الزوايا يرجع إلى أمرين : [1] **أولـهما** : يمثـل الهدف الذي يرجوه كل منهم من قيام العالمية ، فهي في نظره وسـيلة لتحقيق هدف . **والأمر الثاني** : هو المؤثرات التي خضع لها كل مـن هؤلاء ، وتركت بصماتها على تفكيره وتصوره . وهذا وذاك ما نلمسه فيما كتبه كل منهم .

---

[1] محمد حسن الإبياري : المنظمات الدولية وفكرة الحكومة العالمية – ص ٣٣ .

١ - إليجري دانتي (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) :

يعتبر دانتي أول من اتجه إلى هذه النزعة العالمية بعد ظهور مبدأ القوميات ، فقد كان للحروب التي نشبت بين الدول القومية تأثير قوي في توجهه إلى هذه النزعة ، فاقترح ما يمكن تسميته اليوم بـ " الحكومة العالمية " ، ولكنها في صورة إمبراطورية عالمية ، مستوحيًا في ذلك عودة الإمبراطورية الرومانية التي – على حد تعبيره – كرسها الله لتوفير السلام للبشر [١] .

ويدلل دانتي على حاجة العالم إلى قيام مثل هذه الحكومة بقوله : " إذا كانت مصلحة الأسرة الواحدة ، تقتضي وجود رياسة مسيطرة تتولى فض المنازعات بين أفرادها ، فالشعوب أجدى أن تكون لها مثل هذه الرياسات المسيطرة ، ويتمثل ذلك في الحكومة العالمية " .

ولا يعني دانتي بـ " الحكومة العالمية " قيام حكومة مركزية موحدة ، وإنما يدعو إلى اتحاد الحكومات ، على أن تتمتع الممالك والإمارات والمدن الحرة التي تتكون منها الحكومات العالمية ، بحرية كاملة داخل نطاقها ، ويوضح ذلك قوله : " ليس معنى دعوتنا إلى إقامة حاكم عام يستطيع بسط سلطانه على العالم ، أن نمنحه حق إصدار كل قرار صغير أو كبير ، لأن الشعوب والممالك والمدن يجب أن يسير نظامها وفق القوانين التي تلائم كل منها ، إذ القانون هو الذي

---

(١) L . Larry Leonard , : International Organization - U . S . A - The McGraw - Hill book company - P . 24 .

ينظم شئون الحياة ، وبما أن الناس يعيشون في أجواء مختلفة ، فهم يحتاجون أيضا إلى قواعد مختلفة للحياة ، أما الوسائل التي يشترك فيها الجنس البشري ، والتي تنبعث عن غريزة كامنة في نفسه ، فيجب الخضوع فيها لحاكم واحد ، ويجب على الناس أن يتمسكوا بقاعدة واحدة ترشدهم إلى السلام " [١] .

وهكذا كان دانتي يرى ضرورة وجود سلطة زمنية لرفاهية الشعوب ، لذلك دافع عن سلطة الإمبراطور ، مناديًا بتوحيد السلطة ووضعها في يد الإمبراطور . أما سياسة البابا التي ترمي إلى فرض السيطرة على الإمبراطور ، فإنها تسبب انقسامات داخلية ، وتؤدي إلى شيوع الفوضى في المجتمع الأوربي ، فلابد من وجود حاكم واحد وحكومة واحدة .

لقد وفق دانتي إلى رسم صورة صالحة للحكومة الاتحادية ، التي قام بالدعوة إليها ساسة أمريكا وإيطاليا وألمانيا ، الذين جاءوا بعده بعدة قرون ، وسعوا إلى تحقيق وحدتهم القومية [٢] .

٢ – أمريك كروشيه (١٥٩٠ – ١٦٤٨) :

---

[١] بطرس بطرس غالي : التنظيم الدولي – جزءان – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ط ١ – ١٩٥٦– جـ ١ – ص ٢٤ – ٢٦ .

[٢] بطرس بطرس غالي : الحكومة العالمية – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ط١ – ١٩٥٦– ص ١١ .

عاصر كروشيه السنوات الخمس الأولى من حرب الثلاثين المدمرة ، ولذلك فهو يتفق مع دانتي في كراهيته للحرب ، وأن العالمية هي السبيل للقضاء عليها ، ولكنه نظر إلى العالمية نظرة أوسع وأشمل ، فقد دعا إلى ضرورة قيام اتحاد عالمي مفتوح للشعوب والأمم كافة ، دون التقيد بدين خاص .

وهو لا يكتفي بإبراز هذه الفكرة ، ولكنه يرسم الطريق العملي لوضعها موضع التنفيذ ، فدافع عن الخطوات التي يمكن اتخاذها لحماية ولرواج التجارة ، ولترقية العلوم والفنون ، ولنشر التسامح والأخوة بين الشعوب ، إذ أشار إلى أنه قد يكون من أسباب الحروب كراهية الشعوب لبعضها البعض بسبب التعصب الديني ، أو بسبب جهل كل منها بنظام الآخر وبأساليب حياته ، ويرى أنه لا علاج لهذه الحالة إلا بتغليب التسامح الديني ، وتشجيع التجارة ، وتيسير تبادل السلع ، لأن تبادل التجارة وتبادل المنافع ، يجعل الشعوب تفهم قيمة التضامن فائدة قيام السلام . كما اقترح عمل مؤتمر دائم من السفراء ليجتمعوا باستمرار في البندقية أو في مدينة محايدة أخرى . وهذا المؤتمر سوف يقوم بحل المشكلات التي تنشأ طبقًا لحكم المجتمعين كلهم ، وإذا رفض أحدًا منهم تنفيذ القرارات ، فإن جميع الدول الأخرى سوف تجد الوسيلة لحمله على ذلك .

وسوف يصبح هذا المؤتمر المكَون من سفراء جميع الدول الملكية والجمهورية ذات السيادة - متضمنًا تلك الموجودة في الشرق كذلك - كفيلاً بتوفير السلام العام ، وسوف يتعهد كل الحكام بتنفيذ

قرار الأغلبية ، ويتخذون إجراءًا مشتركًا ضد أولئك الذين يحيدون عنه ، وحيث تفشل مجهودات صون السلام فلا سبيل إلا استعمال القوة .

ولقد وضع كروشيه شرطًا للحكام ، وهو : أن يتقدموا بشكاواهم إلى المؤتمر ، معلقًا على ذلك بأنه " طالما بقى الحكام متفرقين ، فإنهم سيحاولون توسيع رقعة دولهم ، ولكنهم إذا كانوا قانعين بثرواتهم الحالية ، وإذا اتحدوا مع هذا المؤتمر الذي هم أعضاء فيه ، فلن يكون هناك ما يعوق السلام أو يخالفه " [1] .

إن كروشيه قد فاق دانتي ، الذي لم تتجاوز نظرته حدود عالمية الإمبراطورية الرومانية ، وسما بتفكيره العالمي ، فتخطى حواجز التعصب الديني ، واقترح أن تكون الدولة العثمانية والصين والهند والفرس أعضاء في الاتحاد العالمي الذي يقترحه . كما نادى بالتخلص من سوءات مبدأ السيادة ، بأن تصدر القرارات بالأغلبية . وبهذا كله يكون كروشيه قد ذهب إلى أبعد مما رأى واضعوا عهد عصبة الأمم وميثاق الأمم المتحدة . وهذه الآراء الناضجة المستنيرة تجعل كروشيه من الرواد الذين نادوا بالتنظيم العالمي .

٣ - جوتفريد فيلهلم ليبنتز (١٦٤٦ - ١٧١٦) :

إذا كان دانتي قد دعا إلى حكومة عالمية مستلهما عودة الإمبراطورية الرومانية ، وإذا كان كروشيه قد دعا إلى قيام عصبة

---

[1] Leonard : op . cit – P . 24 – 25 .

أمم عالمية دون التقيد بدين أو مذهب معين ، فإن ليبنتز الفيلسوف الألماني قد دعا إلى سلام مصدره الثقافة والعلوم .

يرى ليبنتز أن السلام يجب ألا يقتصر على مجرد منع قيام المنازعات ، ولا على مجرد القضاء على الخلافات ، أو منع التجاء الدول إلى استعمال القوة ، بل يجب أن يستند إلى تنظيم دولي يتولى إخضاع تلك المنازعات لقواعد ونظم تحل على أساسها [١] .

وكان ليبنتز في بادئ الأمر ذا نظرة أوربية ، ووضع لذلك مشروعًا في سنة ١٦٧٠ ، يهدف إلى إقامة تنظيم دولي يجمع بين جميع الدول الأوروبية ، لتتمكن في ظل هذا الاتحاد من محاربة الدولة العثمانية . ثم تحول ليبنتز إلى العالمية ، حيث تقدم في سنة ١٦٧٦ بمشروع آخر يرمي إلى تكوين اتحاد دولي ، تكون رئاسته الروحية للبابا ، ورياسته الدنيوية للإمبراطور ، ويكون له مجلس يتولى الفصل فيما قد يقع بين الأمراء من خلافات أو منازعات .

ولما لم تلق مشروعاته أي نجاح ، أخذ يدعو أخيرًا إلى نشر السلام عن طريق الثقافة والعلوم ، لاعتقاده أن اتحاد الشعوب في هذا المضمار يقرب فيما بينها . واستطاع أن يقنع ملك بروسيا بإنشاء مجمع للعلوم في مدينة برلين ، ليكون مثالاً تحتذيه الدول الأخرى . فإذا عمت هذه المعاهد تقارب أهل الفكر والعلم في مختلف البلاد ، وقوي تضامنهم ، وتيسر بذلك نشر فكرة تنظيم دولي يحقق السلام

---

[١] بطرس بطرس غالي : التنظيم الدولي – جـ ١ – ص ٣٠ – ٣١ .

العالمي . وهكذا نستطيع أن نقول أن أفكار ليبنتز هـذه تعتـبر النـواة الأولى لفكرة منظمة اليونسكو [١] .

٤ - إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) :

يعتبر كانط أول فيلسوف عالج قضية السلام بصورة دقيقـة ، تميزت بطرافة مضمونها ، وارتباطها بمنطق النسق الفلسـفي النقـدي عنده ، وبحداثتها التي تبرز عند الرجوع إلى أعمال معاصرة له مثـل كتاب " الحرب والسلم " لريمون أرون " ، وذلك رغم بعض الاهتمـام الذي شهدته هذه المسألة عند الحقوقيين وبعض الفلاسفة الذين سـبقوا كانط ، إذ كان الطرح عند هؤلاء مقتضبًا تارة ، أو موجهًا تارة أخـرى لغايات منافية للسلم [٢] .

يرى كانط أن السلام نهاية صراع قوتي الخير والشر . وقـد تناول قضية السلام العالمي في بحثين هامين نشر أولـهما فـي سـنة ١٧٨٤ بعنوان " مقترحات رجل دولي للتـاريخ العـالمي " . ونشـر ثانيهما في سنة ١٧٩٥ بعنوان " نحو السلام الدائم " .

وخلاصة رأيه في البحث الأول أن الظروف التـي أرغمـت الرجل الفطري على حياة اجتماعية ذات قوانين ، هي نفسها الظـروف التي ستحمل الأمم على التماس هذه الحياة في المجتمع الدولـي حيـث

---

[١] بطرس بطرس غالي : التنظيم الدولي - جـ ١ - ص ٣٦ - ٣٧ .

[٢] توفيق الشريف : مشروع السلم الدائمة عند كانط - المجلة التونسية للدراسـات الفلسـفية - الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية - العدد ١٥/ ١٦ - ١٩٩٥ - ص ١٢٦ .

الأمن والسلام ، في ظل دستور عام يخضع الجميع لأحكامه ، وتصبح الوحدات السياسية في المحيط الدولي أشبه بالأقسام الإقليمية أو المقاطعات في الدولة الواحدة .

أما في البحث الثاني ، فقد أولى كانط الناحية العملية لقضية السلام عناية كبيرة ، فأوضح فيه أن السلام الدائم يعتمد على تكوين نظام جمهوري تمثيلي . ويرى كانط إلى جانب قيام نظام جمهوري في الدولة ، ضرورة قيام قانون للشعوب مؤسس على اتحاد من الدول الحرة ، على أن يسعى هذا الاتحاد إلى منع الحروب نهائيًا ، ويعمل على توسيع مجال نفوذه وسلطانه تدريجيًا . وحث كانط الحكومات على ألا تحاول أن تنحو نحو الاتحاد الفيدرالي بسرعة فائقة ، حتى لا يتعرض ما حققته من ثمار للخطر .

ولقد جاء مشروع كانط متضمنًا مجموعة من المبادئ لتنظيم العلاقات بين الدول ، والتي توقع أنها سوف تقلل من أسباب نشوب الحروب . وأكدت هذه المبادئ على استقلال الدول ، فقد نص المشروع على أنه لا يجوز لأية دولة أن تتملك إقليمًا من أقاليم دولة أخرى ، حتى لو كان هذا التملك عن طريق الهبة أو التبادل أو الشراء . كما ندد المشروع بالأحلاف ، وقرر إلغاء جميع المعاهدات أو الاتفاقات الدولية التي تكون مشتملة على تحفظات أو شروط ، يصح أن تكون نواة لحرب ، أو تتضمن مشروع إثارة حرب مقبلة . كما عارض المشروع القروض الأجنبية ، واعتبرها العقبة الكبرى في سبيل تحقيق السلام الدائم ، نظرًا لما تثيره من مشكلات ، فقد تتخذها

الدول الدائنة وسيلة للضغط السياسي على الدول المدينة . كما منع المشروع التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى ، وحَرم على المحاربين استعمال وسائل غير مشروعة .

ولقد طلب كانط وضع قانون للحرب ، حتى يتفادى نشوب حروب جديدة ، وكشف في دعوته لقضية السلام عن أخطاء المفكرين الذين سبقوه ، فقد بنوا مشروعاتهم لإقامة تنظيم دولي على قواعد الاتحاد بين الملوك والأسر الحاكمة . أما هو فقد أوضح أن هذا ليس بالطريق الصحيح لإقامة سلام دائم ، لأن السلام الدائم لا تبنيه إلا الشعوب ، ولا يكون له دوام إلا إذا أخضع لرقابتها ، ولكن الشعوب لن تتمكن من ممارسة حقها في الرقابة إلا إذا كانت خاضعة لنظام نيابي ديموقراطي [1] .

ونستطيع القول أن كانط لم يتعجل تحقيق السلام العالمي ، بل رأى أننا أمام مرحلتين : **الأولى** هي تنظيم الأمم في هيئة دولية تتولى المحافظة على السلام ، وهذا أمر ميسور التحقيق ، وقد تحقق فعلاً في سنة ١٩١٩ للمرة الأولى ، ثم في سنة ١٩٤٥ للمرة الثانية ، ولا تزال مستمرة حتى اليوم . **والمرحلة الثانية** هي السلام الدائم ، وهو مثل أعلى ، أي غاية بعيدة قد لا تتحقق أبدًا ، لكن يجب على الأمم أن

---

[1] إيمانويل كانط : مشروع للسلام الدائم – ترجمة وتقديم : عثمان أمين – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة – ٢٠٠٠ – ص ٢٣ وما بعدها ، وانظر أيضًا : عبد الرحمن بدوي : فلسفة القانون والسياسة عند إيمانويل كانط – وكالة المطبوعات – الكويت – ١٩٧٩ – ص ٢٢٣ وما بعدها .

تجعلها دائمًا هدفًا نهائيًا لها ، إنه أمل وليس مجرد سراب ، لأن الحرب ليست ضرورة حتمية لا مفر منها .

وخلاصة آراء كانط أنه من الممكن ترويض الإنسان وجعله إنسانًا محبًا للسلام عن طريق السيطرة على غرائزه بإصلاح وضعه الاجتماعي .

٥ – جيرمي بنتام (١٧٤٨ – ١٨٣١) :

يهدف بنتام في مشروعه إلى تحقيق سلام عالمي دائم ، ويرى أن السلام غير قابل للانقسام ، وأن العالم لا يمكن أن يكون نصفه عبيد ونصفه أحرارًا ، ويكون لديه أدنى أمل في تحقيق السلام . ولقد دافع عن ذلك قائلاً : " إن رجال السياسة الذين يهمهم أن ينتهجوا سياسة خارجية ، لا يرعون فيها إلا المصلحة الوطنية وحدها ، يجب أن يعدلوا عن نهجهم هذا ، وحتى يحين الوقت الذي تحتل فيه المصلحة الدولية تفكيرهم ، فلن يكون هناك سلام " [1] .

إن فكرة بنتام لتحقيق السلام تتفق مع نظريته الاقتصادية عن المنفعة ، فمشروعه يهدف إلى تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس ، وأكبر عدد في نظره هو شعوب العالم قاطبة ، فغاية السياسي يجب ألا تقف عند حدود بني جنسه ، وألا يكون سعيه لتحقيق السعادة لهم وحدهم ، بل يجب أن يتخطى الحدود القومية ، فيعمل على نشر الرخاء والسلام بين أبناء البشر جميعًا .

---

[1] Leonard , op . cit , P . 29 .

وتتلخص مقترحات " بنتام " لتحقيق هذه الأهداف في ست نقاط وهي :

١ – تخفيض تسليح جميع الدول .

٢ – تحرير جميع المستعمرات وجلاء المستعمر عنها .

٣ – مكافحة المعاهدات السرية والدبلوماسية الخفية .

٤ – تشجيع تبادل التجارة بين مختلف البلاد .

٥ – إنشاء محكمة عدل دولية تفصل بين الخصومات ، ولكن ليس لها أن تفرض عقوبات .

٦ – تكوين هيئة دولية يؤلف أعضاؤها من نائبين عن كل دولة ، وتكون مناقشات الهيئة علنية ليكون الرأي العام العالمي على علم بقضاياه ، ويدافع عن السلام والأمن [١] .

كما يرى بنتام عدم استعمال القوة لإجبار الدول العنيدة ، لاعتقاده أن ضغط الرأي العام العالمي يكون كافيًا لتحقيق هذا الغرض ، إذا ما توافرت الضمانات لحرية الصحافة [٢] .

من هذا يتضح أن بنتام يعتبر من طليعة المنادين بالدبلوماسية المفتوحة ، وهي السياسة التي نادى بها الرئيس " ولسن " فيما بعد ،

---

[١] بطرس بطرس غالي : التنظيم الدولي – جـ ١ – ص ٤٨ – ٥٠ .

[٢] انظر :

Raymond G. Gettell : History of Political thought, vol. 1, 15 impression – Great Britain : George Allen and Unwin – 1961 – P. 437.

ولكن كلاهما قد فشل في سياسة الاعتماد على الرأي العام ، فكمـــا أن مبادئ بنتام ومشروعاته لم تستطع أن تحول دون الحروب الناجمة عـن الثورة الفرنسية ، ولا أن تحول دون حروب نابليون ، كذلك لم تســتطع مبادئ الرئيس " ولســن " أن تحــول دون وقــوع الحــرب العالميــة الثانية [١] .

٦ - التصور الشيوعي لفكرة الحكومة العالمية :

تتكون الفلسفة الشيوعية من هدف ووسيلة . أما الـــهدف فــهو تكوين " مجتمع لا طبقي " ، ليس فقط في إطار دولة واحـــدة ، ولكــن على مستوى العالم كله ، أي تكوين " كومنولث عالمي " . وفي ســـبيل تحقيق ذلك لابد من القضاء الكامل على الرأسمالية في كل مكان .

والشيوعية للوصول إلى هذا وذاك ، لا تعترف بنظام الدولـــة القومية ، لأنه نظـــام بورجـــوازي حديـــث اقـــترن بظـــهور الثـــورة الصناعية ، وانتقال رؤوس الأمـــوال المتراكمـــة لـــدى الإقطـــاعيين والتجاريين إلى الميدان الصناعي ، مما أدى إلى سيطرة طبقة أصحـــاب رؤوس الأموال على طبقة البروليتاريا . كما ترى الشيوعية أن نظـــام الدولة القومية ليس نظامًا أزليًا ، فقبل ظهوره شهد العالم – في بعـــض عصور التاريخ كما يقول إنجلز – أشكالاً أخرى للحكـــم ، وأن نظـــام

---

[١] بطرس بطرس غالي : التنظيم الدولي – جـ ١ – ص ٥٠ .

الدولة الحالي هو نتيجة لانقسام المجتمع إلـى طبقتين : طبقة من يملكون رأس المال ، وطبقة من لا يملكون [1] .

وفضلا عن ذلك ، فإن التطور التاريخي في ضوء التفسير المادي للتاريخ – كما تراه الشيوعية – يحتم زوال نظام الدولة كلية ، ليحتل مكانه المجتمع اللاطبقي ، خاصة وأن نظام الدولة هذا يحمل بين جنباته عوامل انهياره ، ولعل أهمها التناقضات النابعة من الصراع الطبقي ، والنزعة العدوانية التي كانت سببا في الحروب الطاحنة التي شهدها العالم منذ قيام هذه الدولة .

والشيوعية أيضا لا تعترف بالحدود بين الدول ، أو بمبدأي القومية والسيادة ، لأن جميعها نابعة من الدول القومية ونتيجة لقيامها ، وعدم الاعتراف بالأصل يترتب عليه عدم الاعتراف بهذه الأمور . وقيام " الكومنولث العالمي " يقتضي بالتبعية تجاوز الحدود ، والعمل على تقويض مبادئ مثل القومية والسيادة التي تحول دون قيام الكومنولث المنشود .

وترى الشيوعية أن قيام دولة عالمية وفقا للمفهوم الغربي ، لن يقضي على المتناقضات والنزاعات ، لكنه سيزيدها عمقا واتساعا ، لأن الدولة العالمية الرأسمالية ستشدد من سيطرة رأس المال .

---

[1] انظر :

V . n . Khanna ,: Major political Systems , 2 Vols – Delhi : R . Chand and C . , 1972, vol . 2 – P . 115 .

وتطالب الماركسية بـ " مجتمع لا طبقي " ليس فقط في إطار دولة واحدة ، ولكن على مستوى العالم كله . ويوضح هذا الشعار الذي أطلقه ماركس وإنجلز في إعلانهما المشهور سنة ١٨٤٨ وهو : " أيها العمال في جميع أنحاء العالم اتحدوا ، فلن تخسروا شيئًا سوى هذه السلاسل التي تقيدكم " [1] . فإسقاط البرجوازية لا يمكن أن يتحقق من غير طريق تحول البروليتاريا إلى طبقة سائدة قادرة على سحق البرجوازية ، والعمل على تفجير " الثورة العمالية العالمية " .

يتضح مما تقدم أن الدولة في النظام الشيوعي لا دور لها في تحقيق الوحدة العالمية ، وبالتالي في تحقيق الحكومة العالمية ، وإنما الدور كل الدور للحزب الذي يتكون من طبقة البروليتاريا [2] .

---

[1] انظر :

Alfred M . Bingham : The United States of Europe – 2 nd – ed . , New York – Duell floan and pearce – 1940 – P . 59 .

[2] محمد حسن الإياري : المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكومة العالمية – ص ١٤٤ وما بعدها ،

وانظر أيضًا : أحمد سويلم العمري : أصول العلاقات السياسية الدولية – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٥٧ – ٧٩٣ .

الفصل الثاني

معوقات قيام الحكومة العالمية

" أسباب الحرب ودوافعها "

مدخل :

قد يخفى على بعض الناس أن الحرب من أشد النظم البشـــرية تأصلاً . ونحن ندرك أننا حين نطالب البشر بالابتعاد عن الحـــروب ، إنما نطالبهم بشيء لم يطالبوا به من قبل . هذا من ناحية ، ومن ناحيـــة أخرى ، قد يعمد ذوو المزاج الواقعي ممن ينظرون في سجل التـــاريخ الإنساني بإمعان ، إلى تجاهل حقيقة لا نزاع فيـــها ، هـــي أن تســـوية المنازعات بين الدول القومية بطريقة الحرب ، التي أضفى عليها القـدم مسحة القداسة ، قد أصبحت مدمرة بصورة لا يقبلـــها العقـل ، بعـد اكتشاف الأسلحة النووية .

وما يستطيع أحد أن يلوم البشرية ، إذ فاتها منذ القدم مواجهـــة تلك المعضلة التي أوقعنا في حبائلها تقدم العلـــوم الطبيعيـــة . ولكـــن الحقيقة المرة هـــي أن الحـــرب ضـــرورة لا مـــهرب منـــها لعالمنـــا المعاصر ، المكّون من دول ذات سيادة كاملة .

من هنا كانت الحاجة الآن أمس منها في أي وقت مضى ، إلـى القيام بدراسات شاملة وواقعية أكثر في طبيعة الحرب بوجـــه عـــام ، وفي الحرب النووية بوجه خاص . وعندي أن الظن بأن في الإمكـــان

إحراز السلام وتكوين حكومة عالمية ، بغير دراسة الحرب وأسـبابها ودوافعها دراسة مستفيضة ، سيكون عبثًا في عبث ، كمن يظن أنه فـي الإمكان التغلب على المرض العضال ، دون الحصول على فهم جيـد للحالة السقيمة للأنسجة المصابة . لهذه الأسباب خصصنا هذا الفصـل لمناقشة آراء برتراند رسل حول هذه القضايا .

في البداية يعـرِّف رسل الحرب بأنها : نـزال بيـن فريقيـن يحاول فيه كل منهما أن يقضي على أكبر عدد من الفريق الآخـر - أو تعجيزه عن العمل - بقصد تحقيق هدف يرغب في تحقيقه - وعادة مـا يكون هذا الهدف هو القوة أو الثروة [١] .

أما أسباب الحرب عند رسل فهي :

أولاً : الأسباب السيكولوجية

سلك رسل في تحليله لأسباب الحرب منهجًا يغلب عليه الطـابع السيكولوجي ، من خلال ربطه هذه الظاهرة بدوافع السـلوك البشـري بشكل عام ، وبغريزة القطيع التي أخذت شكلها المعاصر فيما نسـميه بـ " القومية " بشكل خاص [٢] .

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ترجمة : دريني خشبه ، عبد الكريم أحمد – العالمية للطبع والنشـر – سلسلة الألف كتاب " ٦٨ " – القاهرة – ١٩٥٦ – ص ٦٤ .

[٢] نصار محمد عبد الله : فلسفة برتراند رسل السياسية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القـاهرة – ١٩٨٧ – ص ١٠١ .

ويرى رسل أن هناك أسبابًا دفينة في وجدان الناس تدفعهم إلى شن الحرب ، وهذه الأسباب الدفينة هي التي يطلق عليها رسل اسم " دوافع الحرب " . أما الأهداف التي يرمي الفرقاء المتحاربون إلى تحقيقها ، فما هي في واقع الأمر إلا محركات عارضة لهذه الدوافع الدفينة . والدليل على ذلك في رأيه ، هو أنه لو كانت الأهداف المأمولة هي المحرك الوحيد لقيام حرب ما ، لكانت الأدلة المنطقية وحدها كفيلة بمنع قيام الحروب ، إن لم يكن جميع الحروب التي عرفها البشر . وعلى سبيل المثال ، فإن التحليل المنطقي يظهرنا على أن تلك الحروب التي يراد شنها ابتغاء تحقيق مكاسب اقتصادية ، سوف يترتب عليها من الناحية المحاسبية الخالصة من " المغارم " أضعاف ما يمكن أن تجنيه من " المغانم " ، ومن ثم فإن القرار الاقتصادي الرشيد المتعلق بها ، يتمثل من الناحية المنطقية في أنها مشروع اقتصادي خاسر ، ومع هذا فإن البشر كثيرًا ما قاموا بتنفيذ هذا المشروع الخاسر بكل الفخر والاعتزاز [1] .

إن الحقيقة النهائية لا تتمثل في رأي رسل ، في أن الحرب تترتب على سبب اقتصادي أو سياسي . كما أن دوامها ليس راجعًا إلى صعوبة ابتداع الوسائل الكفيلة بتسوية المنازعات الدولية سلميًا . إن الحقيقة في النهاية تتمثل في أن الحرب تنشب لأن جانبًا كبيرًا من

---

[1] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٦٤ .

البشر لديهم من دوافـــع العـــدوان أكـــثر ممـــا لديـــهم مـــن دوافـــع الائتلاف [1] .

الحرب إذن ليست في رأي رسل نتيجـــة لأسـبابها المباشـــرة اقتصادية كانت أم سياسية ، قدر ما هي نتيجة للدوافع البشـــرية . فمـــا هي هذه الدوافع التي تؤدي للحرب في رأي رسل ؟ .

يرى رسل أن جميع الدوافع التي تدفع إلى الحرب يمكن ردهـــا إلى أصل غريزي واحد هو " تأكيد الذات " في مواجهـــة الآخريـــن ، غير أن هذا الأصل الغريزي الواحد يمكن تفريعه إلى مجموعـــة مـــن الدوافع أهمها تأكيد الذات من خلال دافع العدوان على الآخريـــن ، أو تأكيدها من خلال رد العدوان ، أو تأكيدها من خلال الحركة المتجـــددة التي تكسر رتابة النمط المألوف من الحياة .

١ - تأكيد الذات من خلال دافع العدوان أو رد العدوان :

يرى رسل أن محاولة تأكيد الذات من خلال العـــدوان علـــى الآخرين ، هو من أهم الدوافع التي قادت إلى الحـــرب فـــي مراحـــل تاريخية مختلفة ، بل إن من العقائد ما يعد تعبيرًا صريحًا ومباشرًا عما تحمله جماعات معينة من النزوع إلى العدوان علـــى الآخريـــن . وأن أبرز الأمثلة على ذلك هو ما نجده في سفر " يوشـــع " حيـــث يـــبرز الاعتقاد بالتفوق الأسمى للجماعة التي ينتمي إليها شخص ما ، مع الثقة بأنها - بشكل أو بآخر - تمثل شعبًا مختاراً ، وهو ما يبرر شعوره بـــأن

---

[1] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٦٤ .

جماعته وحدها هي الجديرة بالاهتمام ، وأن ما يصيبها من خير أو شر هو وحده ما ينبغي أن يلقى العناية ، وأما بقيـــة الجماعـــات الأخـــرى فليست سوى مجال لعرض انتصارات الشعب الأسمى . ولقـــد اقـــترن دافع العدوان بطبيعة الحال بدافع رد العدوان ، وسار معه جنبًـــا إلـــى جنب . غير أن اقترانه به ليس مجرد اقتران الفعل برد الفعل ، بل هـــو في حقيقة الأمر دافع أصيل شأنه في ذلك شأن دافع العدوان ذاتـــه ، إذ أنه ينبع من نفس المصدر ويتجه إلى نفس الغاية وهي تأكيد الـــذات . بل أنه كثيرًا ما يتحول إلى الدافع الأول " العدوان " . والتاريخ حـــافل بأمثلة عديدة للجماعات التي تعرضت للعدوان فاكتســـبت مـــن خـــلال صمودها طاقة من الاندفاع تحولت بها إلى جماعات تواصل العـــدوان حتى بعد استيفاء أغراض الدفاع عن النفس [١] .

٢ – تأكيد الذات من خلال الحركة المتجددة :

يرى رسل أن تعطيل الدوافع وشلها ، نتيجة لعدم وجود البيئـــة المناسبة لإبرازها ، خاصة في تلك المجتمعات التـــي تفـــرض علـــى أفرادها نمطًا رتيبًا من الحياة ، يفضي بالإنسان إلى حالة من الإحبـــاط والملل تدفعه إلى تأييد قيام الحرب والحماس لها ، محاولاً أن يلتمـــس فيها ما عجز عن تحقيقه من خلال نمط الحياة العادي . ويحـــدث هـــذا العامل تأثيره سواء بالنسبة للأشخاص المؤثرين على سير الأحـــداث أو بالنسبة للأفراد العاديين . ذلك أن الأشخاص المؤثريـــن علـــى ســـير

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٢٢ – ٢٣ .

الأحداث في العالم تحكمهم عادة رغبة ذات ثلاثة جوانب **أولـــــها** : أن يجدوا ذلك النشاط الذي يستلزم كل ما يحسون أنهم يمتلكونه من ملكات يبزون غيرهم فيها . **وثانيها** : إحساسهم بالنجاح في الانتصـــار علـــى العقبات . **وثالثها** : احترام الآخرين لهم بناء على مـــا يحققونـــه مـــن نجاح [١] .

كذلك فإن الأشخاص العاديين الذين يفتقدون إلى مواهب خارقة للعادة ، يحملون نفس هذه الرغبات ، وإن تكـــن لديـــهم بقـــدر أقـــل وضوحًا ، فإن الواحد منهم يذهب إلى عمله في الصبـــاح ثـــم يعـــود مكدوداً في المساء ليستمع إلى نفس العبارات الرتيبـــة التـــي ترددهـــا زوجته وأولاده . وأنه ليعتقد أن التأمين ضد الأخطار المتوقعـــة هـــو خير ما يمكن فعله ، لذا نراه يؤمن على نفسه ضد العجز والوفاة . كما نراه يلتمس لنفسه نوعًا من العمل تقل فيـــه احتمـــالات الترقيـــة ، ولا يتميز إلا بتأمين الاستقرار فحسب . غير أنه ما أن يتمكن من تحقيـــق كل ذلك حتى يصيبه الملل القاتل الذي يهرب منه إلى عالم التخيـــلات والأحلام بالمغامرات والمخاطر المثيرة . إنه يهرب إلى عالم هيـــهات أن يدنو إلى تحقيقه بحكم واقعه الهزيل . وهذا النموذج من الناس هـــو في الواقع ضحية حقيقية من ضحايا المجتمـــع القـــائم علـــى التنظيـــم الرتيب . وهو ضحيته التي لا ينقذها من رتابة مشـــاعرها إلا حـــادث مثير كالحرب .

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٧٢ .

هذا النموذج لابد وأن يخيل إليه أن الحرب نوع من الإخلاص ، فهو في النهاية ينتمي إلى أمة تتعرض للأخطار وما تتعرض له أمته هو ما يتعرض له هو نفسه بمعنى أو بآخر . ومن ثم يشتعل حماسه وخياله الملتهب للحملات العسكرية إلى جبل سيناء وجنات عدن . وأنه ليسعد بهذا الحماس لأنه يعده نوعًا من الوطنية والنبل . هكذا ترتد الغريزة آتية إليه عبر القرون السحيقة ، وهكذا يطل إنسان الغاب من سجن العقل الذي حبسته فيه الحضارة أمدًا طويلاً . وهذا هو في الواقع ما يمثل الجانب الأعمق من سيكولوجية الحرب .

ومن خلال هذه الصورة ، يؤكد لنا رسل وجهة نظره التي يقول بها ، وهي أن دوافع الإنسان هي مظهر حياته وأن كثيرًا من الدوافع التي تقود إلى الموت في الحرب ، هي ذاتها الدوافع التي كان يمكن أن تقود إلى الحياة ، لولا أنها قمعت فاتخذت مساراً غير صحيح . ومن ثم فإن الذي ينبغي أن نستهدفه ليس هو قمع الدوافع البشرية بل توجيهها التوجيه الصحيح . فالمشكلة إذن تتمثل في كيفية الإبقاء على هذه الدوافع بحيث لا تنتج عنها الحرب [1] .

لكل هذا يعيب رسل على الداعون للسلام ، عندما يبدون سخطهم على تلك الخلافات التي تقوم بين الأحزاب السياسية ، أو تلك التي تنشأ بين العمال وأصحاب العمل ، فإن مثل هذه الخلافات في

---

[1] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٧٣ – ٧٤ . وانظر أيضًا : نصار عبد الله : فلسفة برتراند رسل السياسية – ص ١٠٤ – ١٠٥ .

رأيه خلافات مثمرة ، إذ أنها لم تصل إلى حد الحرب أو التدمير ، كما أنها تمثل متنفسًا حميدًا لما هو كامن في وجدان الناس من حب الصراع ، وهي أيضًا تعين على تطوير النظم والمؤسسات ، أي أنها بعبارة أخرى ، تقوم بتوظيف طاقات الحياة لدى البشر في إطار غير هدام وغير مدمر ، كالذي تفضي إليه الحرب وكافة أشكال الصراعات المدمرة الأخرى [١] .

ثانيًا : مشكلة العداء العنصري

يؤكد برتراند رسل أن مشكلة العداء العنصري التي تنشأ بين الشعوب المختلفة عنصريًا ، لهي واحدة من أصعب المشكلات ، وأشدها استعصاء على العلاج ، وأكثرها تسببًا في قيام الحروب ، لذلك ينبغي حلها إذا أريد أن يصبح وجود حكومة عالمية ممكنًا .

وعندما يتحدث رسل عن " الشعوب " ، يعني " التنوعات البيولوجية " الحقيقية في السلالة البشرية ، لا تلك الانقسامات التي خلفتها أحداث تاريخية أو سياسية [٢] .

ويعطي رسل لمشكلة العداء العنصري الراجع إلى اختلاف اللون أهمية كبيرة ، ويرى أن الجذور الغريزية للاضطهاد العنصري

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٧٦ .

[٢] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ترجمة : عبد الكريم أحمد – دار القومية العربية – القاهرة – د . ت – ص ٩٩.

القائم على اللون ، هي أساسًا خوفًا من الخضوع لسيطرة أجنبية . وهو خوف يرجع بعض السبب فيه إلى عملية " الاستبطان " السيكولوجي . ويوجد هذا النوع من الخوف باستمرار لدى الأرستقراطيات المكونة من ملاك العبيد ، فهم يعلمون أن ثورات العبيد قد تندلع دون أي تحذير سابق ، وأن ما يحدث للسادة المهزومين في هذه الحالة قد يكون مروعًا . ويتحول هذا الخوف إلى كراهية بمجرد ظهور أية علامة على عدم الرضا أو المطالبة بالمساواة من جانب العنصر الأدنى [١] .

وهناك شيء آخر إلى جانب الخوف من الخضوع لسيطرة أجنبية ، في الجزء الغريزي من الاضطهاد القائم على اللون ، وهو الشعور بالاشمئزاز نحو المجهول والغريب . بيد أن العنصر الغريزي في الكراهية العنصرية جزء صغير من مجموعها ، وليس من العسير التغلب عليه ، فالخوف مما هو غريب ، الذي يتكون منه قسم كبير من جوهره ، يزول بالألفة . ولو أن الأمر كان مقصورًا على ذلك وحده لانتهت المشكلة كلها ، بمجرد أن يألف الناس من الأجناس المختلفة بعضهم البعض .

ويرى رسل أن هناك أعذارًا لكراهية الغرباء ، فعاداتهم تختلف عن عاداتنا ، ومن ثم فإنها أسوأ منها . وإذا كانوا ناجحين فإنهم يسلبوننا فرصًا هي من حقنا . وإذا كانوا فاشلين ، فإنهم متشردون لا يصلحون لشيء . وسكان العالم في الوقت الحاضر من سلالة من بقوا

---

[١] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١٠٨ .

على قيد الحياة في أحقاب طويلة من الحرب . وهم يتطلعون بصـــورة غريزية نحو فرص للعداء الجماعي . وتتجمع الرغبة في كراهية شـــئ ما حول اللب الحقيقي للكراهية العنصرية ، وتبني حوله صرحًا بشـــعًا من القسوة وعدم التعقل . وتنبثق مشاكل عصرنا مـــن أن مثـــل هـــذه العداوات تنطوي الآن على كارثة تعم الجميـــع ، ولا تقتصـــر علـــى المهزوم وحده كما كان الحال فيما مضى . وهذا هو الســـبب فـــي أن تحقيق قدر من السيطرة العقلية على انفعالاتنا المدمرة ، قد صار أكـــثر أهمية مما كان في أي وقت مضى [1] .

ويرصد رسل مصادر الكراهية العنصرية بوجه عام ، ويـــرى أن لها مصدران ، متعارضان في الظـــاهر ، ولكنـــهما فـــي الحقيقـــة متصلان اتصالاً وثيقًا ، فهناك من ناحية رغبة المرء فـــي أن يشـــعر بتفوقه . ومن ناحية أخرى الخوف من أن يصير في مركـــز أدنـــى . فالرجل الطبيعي تحدوه الرغبة في أن يشعر أنه شخص ممتاز ، ومـــن ثم فإنه ينزع إلى احتقار أية جماعة لا ينتمي إليها ، فالرجال يحتقـــرون النساء لأنهن عاجزات عن التفكير ، ويحتقر النســـاء الرجـــال لأنـــهم أطفال كبار ، وشعب يحتقر شعب ، وهكذا ، ومـــا دام هـــذا الشـــعور بالتفوق أصيلاً ، يستطيع المرء أن يكن للجماعات التي لا ينتمي إليـــها ودًا يشوبه الازدراء والعطف في نفس الوقت [2] .

---

[1] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١٠٨ – ١٠٩ .

[2] المصدر السابق : ص ١٠٩ – ١١٠ .

ويعدّد رسل أسباب الفرقة بين الأجناس المختلفة ، ويرى أنــها متباينة ، وهي تمتد من الغريزة العمياء إلى التقدير العقلــي للمصلحــة الذاتية . ويرجع سوء العلاقة بين البيض والملونيـــن فــي الولايــات المتحدة إلى أسباب أغلبها من النوع الأول ، فهذه العلاقات الســيئة لا تفيد أحدًا ، وإذا عومل الملونين باعتبارهم أندادًا لكان الجميــع أكــثر سعادة . ومن ناحية أخرى لا يحتاج الخوف من هجرة الآسيويين إلــى بلاد البيض إلى أي تدعيم من جانب الغريزة ، فبعض الشعوب حقــق مستوى من الحياة أعلى من شعوب أخرى ، وإذا ظل معدل المواليــد بنفس ارتفاعه الحالي لدى الشعوب ذات مستوى المعيشة المنخفضــة ، فإن السماح لها بالهجرة لن يؤدي إلا إلى خفض مستوى المعيشة لــدى الشعوب الأكثر رخاء ، دون أن يصحب ذلك أي كسب دائم للشــعوب الأقل رخاء [١] .

ويطالب رسل في هذا الصدد بأن نفهم نظرية التطــور عنــد داروين فهمًا صحيحًا يقول : إن الإقرار بأن الناس لا يتساوون جميعًــا في التكوين البيولوجي ، لا يصبح خطرًا إلا عندما تنتقى طائفة منــهم على أنها ممتازة أو وضيعة . إذا قلت أن الأغنياء أكــثر قــدرة مــن الفقراء ، أو الرجال من النساء ، أو البيض من السود ، أو الألمان مــن أي قوم آخرين ، فإنك تتخذ موقفًا غير مؤيد من الداروينيــة . ومــن المؤكد أنه يؤدي إلى الرق أو الحرب . ولكن مثل هذه التعــاليم مــهما تكن مفتقرة للأسانيد قد أعلنت باسم الداروينية ، كما هــو الحــال فــي

---

[١] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١١٠ .

الفكرة البشعة التي تقول بان أشد الناس ضعفًا يجب أن يـتركوا حتـى يهلكوا ، طالما أن هذا هو أسلوب الطبيعة في التقدم . وإذا كان الكفـاح للبقاء هو الطريق إلى عنصر أفضل - كما يقول أصحاب هذه الدعـوة - فلنرحب بالحرب إذن ، وكلما كانت مدمرة كان ذلك أفضل . وهكـذا نعود إلى هرقل أول الفاشيين الذي قال : " لقد كان هوميروس مخطئـا في قوله : ألن تمحي روح الصراع بين الناس والآلهة ؟ إنه لم يـدرك أنه كان يصلي من أجل دمار الكـون ... الحـرب فينـا جميعًـا ، والصراع عدل ... الحرب أم الجميع وملكة الجميع ، جعلت البعـض آلهة والبعض رجالاً ، البعض عبيدًا والبعض أحرارًا " [1] .

ويرى برتراند رسل أن هناك ثلاثة أنواع من الحلول للمشـكلة العنصرية لتجنب الشرور التي يمكن أن تترتب عليها مثـل : الشـغب العنصري ، والشنق الذي تقوم به الغوغاء ، والمذابح . **والحـل الأول :** هو تجنب كل اختلاط جغرافي . **والثاني :** يتكون من نظام صارم مـن التفرقة بين الفئات المختلفة . **والثالث :** مساواة كاملة بمـا فـي ذلـك حرية الزواج المختلطة .

ويناقش رسل هذه الحلول رافضًا بعضها ومؤيـدًا بعضـها ، ويبدأ بالحل الذي يذهب إلى تجنب الاختلاط الجغرافي ، فيرى رسـل أن هذه السياسة تعتمد على القوة العسكرية المتفوقة ، فـأولئك الذيـن

---

[1] برتراند رسل : أثر العلم في المجتمع – ترجمة : محمد الحديدي – مراجعة : أحمد خاكي – الهيئـة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٥ – ص ٢٠ .

يريدون الاحتفاظ ببلد ما لأنفسهم يجب أن يكونوا في مركز يسمح لهم بالدفاع عنها . وهذا يعني أنه إذا قامت حكومة عالمية في وقت ما ، فيجب ألا تكون ديمقراطية تمامًا ، إذ أنه من الواضح أن الديمقراطية العالمية ستصوت إلى جانب وضع حد لاحتكار الرجل الأبيض لمناطق معينة من المناطق الخصبة على سطح الأرض . والسبيل الوحيد لمواجهة هذه الصعوبة هو جعل عدم التدخل في قوانين الهجرة جزءًا من دستور الحكومة العالمية .

والتفرقة بين الفئات المختلفة حل من الحلول ، وقد استعمل في العصور القديمة بنجاح كبير ، ولكن نظام الفئات مما تعافه الأفكار الحديثة ، وهو يبدو في العالم الحديث مجرد مخرج مؤقت وليس حلاً دائمًا .

ويرى رسل أن الحل الوحيد الحقيقي هو الاختلاط الكامل حيثما تكون هناك أجناس مختلفة من السكان عليها أن تعيش جنبًا إلى جنب [١] .

ويذهب البعض أحيانًا إلى أن الاختلاط بين الأجناس غير مرغوب فيه من الناحية البيولوجية . ولكن رسل يؤكد أنه ليس هناك أي دليل على ذلك ، كما أنه من الواضح أنه لا يوجد أي سبب للظن بأن الزنوج أقل في الذكاء الفطري من البيض ، وإذا كان من العسير الحكم حتى يتاح لهم مجال متساو وظروف اجتماعية متساوية .

---

[١] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١١١ – ١١٢ .

وقد قام النازيون ومن سبقوهم في نزعتهم الفكرية بدعاية قوية للنقاء العنصري ، بيد أن الوقائع تدحض دعايتهم ، فأكثر الأجناس نقاء على ظهر الأرض هم السكان الأصليون في استراليا " الهوتنتوت Hottentots " والأقزام . أما الأجناس العظمى في التاريخ ، فقد نشأت عن سلالات مختلطة . والألمان أنفسهم سلافيون إلى حد كبير ، كما أن الروس مغوليون إلى حد كبير . وشعوب البحر الأبيض كلها شعوب مختلطة . والبريطانيون مزيج من العناصر الجرمانية والسلت وما قبل السلت . وكان الأثينيون خليط تكّون من مزيج من البرابرة الشماليين الغزاة ، والأقوام القدامى من سكان اليونان قبل العهد الهليني . ومن ثم فليس هناك أي أساس عقلي للاعتراض على الزواج المختلط بين الأجناس المختلفة [1] .

ويخلص رسل بعد هذا الاستعراض الطويل إلى شيئين ، فمن ناحية حيثما توجد أمتان لا اختلاط بينهما ، ويختلف مستوى المعيشة في كل منهما عن الأخرى ، من الحكمة المحافظة على عدم اختلاطهما بواسطة قوانين الهجرة ، على أن تبذل كل الجهود الممكنة لرفع مستوى المعيشة لدى الأمة المتخلفة ، دون خفض مستوى المعيشة لدى الأمة الأكثر رخاء . ويتطلب ذلك إذا قامت حكومة عالمية ألا تتدخل هذه الحكومة في قوانين الهجرة ، وألا يكون لها الحق في تغيير الحدود دون رضاء السكان الذين يتعلق بهم الأمر .

---

[1] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١١٢ – ١١٣ .

ومن ناحية أخرى ، حيثما تكون هناك جماعتين من السكان ، قام بينهما اختلاط عنصري فعلاً ، فإن الحل الحقيقي الوحيد الذي يراه برتراند رسل ، هو اعتبار الجنسين متساويين تمامًا ، والسماح بالزواج المختلط ، ثم انتظار الوقت الذي يصبح فيه النقاء العنصري نادراً والخلافات العنصرية في زوايا النسيان [1] .

ويؤكد برتراند رسل أن العداء العنصري ميراث لا تحرري وغير عقلي ، ورثناه من ماضينا الحيواني . والقضاء عليه أمر عسير ، ولكنه ليس مستحيلاً . ولابد من القضاء عليه إذا أريد للعالم سلام ولابد للعالم من أن يحظى بالسلام إذا أريد لأي قسم من الجنس البشري أبيض أو أسود أو أصفر أو أسمر البقاء [2] .

ثالثًا : مشكلة اختلاف العقائد والإيديولوجيات

من الأسباب الهامة التي ذكرها رسل ، والتي تؤدي إلى الحروب الطاحنة ، هي الخلافات العقائدية والإيديولوجيات المتعصبة ، التي تعد مصدراً من مصادر الصراع على امتداد التاريخ ، وحتى الوقت الحاضر .

---

[1] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١١٣ – ١١٤ .

[2] المصدر السابق : ص ١١٤ .

ويعرِّف رسل الإيديولوجية بأنها : " نظام من المعتقدات يؤدي إلى نوع من التصرفات العامة والخاصة ، ويدعمها – عندما تكون ذات أهمية سياسية – بنظام كهنوتي أو ما يماثله " [١] .

ويستعمل رسل كلمة " أيديولوجية " باعتبارها مرادفًا للفظ " عقيدة " تقريبًا ، ولكن مع اعتبار أن ما ينطوي عليه اللفظ الأول من دلالة أقل تشددًا من الثاني ، فالمرء يستطيع أن يتحدث عن " أيديولوجية " الرأسمالية الأمريكية ، بيد أن الكتابة عنها بوصفها " عقيدة " يعد تحميلاً للألفاظ أكثر مما ينبغي بعض الشيء [٢] .

ولكن الخلافات في العقيدة ليست بالضرورة سببًا للنزاع ، فهي لا تصير كذلك إلا إذا كانت مصحوبة بتعصب شديد [٣] .

---

[١] انظر : برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١١٥ .

[٢] المصدر السابق ونفس الصفحة .

[٣] المصدر السابق : ص ١١٦ . ويعرف فيليب ماسون التعصب بالقول : " إن التعصب يختلف عن التفرقة ، فالتفرقة عن فعل يفعل . أما التعصب فهو حالة عقلية قد تؤدي إلى التفرقة . وتشمل العملية في الواقع ثلاث مراحل : فهي تبدأ أولاً بفكرة عامة عن مجموعة من البشر بأكملها ثم نطبق هذه الفكرة العامة على أي فرد من أفراد هذه المجموعة على النحو التالي : الإسكتلنديون قوم بخلاء ، وأندرو رجل اسكتلندي ، إذن فلابد أن يكون أندرو رجلاً بخيلاً . فإذا ما ترتب على ذلك رفضك للسماح لأندرو بدخول ناديك ، فإن هذا هو التميز أو التفرقة . والأغلوطة في هذا النوع من التعليل اللاشعوري تكشفها بوضوح الحقيقة الواقعة ، وهي أن صفة البخل لا يمكن أن تنطبق على جميع الاسكتلنديين . وتتولد عن هذه الفكرة العامة صورة من نوع معين تنطبع في الذهن ، ويسمى هذا النوع من الصورة العامة بـ " الأكليشيه " أو " اللوح الطابع " . وهو نوع مفيد من البرطمة قد نضطر إلى استعماله ، ونحن إذا سلمنا جدلاً بهذا اللوح الطابع وتوقعنا إمكان تطبيقه على فرد معين ، فإن ذلك يكون على الأقل أمرًا غير طبيعي . أما إذا كان هناك إصرار على هذا التطبيق رغم –

والتعصب عندما يسيطر على حكومة يكون خطرًا ، لأنها تجد التعاون مع الآخرين عسيرًا ، فالنازيون والشيوعيون على السواء جعلوا المعاهدات والاتفاقات للعالم الخارجي عديمة الجدوى ، لأن تعصبهم يجعلهم غير قادرين على حسن النية .

ويناقش رسل طبيعة التعصب وأسبابه والوسائل الممكنة للتخفيف من حدته . ويقول : إن جوهر التعصب هو اعتبار أمر ما من الأهمية وحده بمكان يفوق كل شيء آخر [١] . والمتعصب هو من يعطي مسألة ما أهمية قصوى ، وينظر باستخفاف إلى بقية الأمور الأخرى [٢] .

وفي كل مجتمع نسبة معينة من ذوي المزاج المتعصب . وبعض ألوان التعصب في جوهرها غير مؤذية ، ما دام معتنقوه قلة بعيدة عن الحكم ، فالتعصب لا يكون خطرًا جديًا ، إلا عندما يعتنق عقيدة معينة تعصبية عدد من الناس يكفي لتعريض السلام للخطر ، إما داخليًا بحرب أهلية ، أو خارجيًا بحرب دينية . أو عندما يؤدي التعصب – بدون حرب أهلية – إلى قيام حكم القديسين وما ينطوي

= ما يوجد من أدلة عكسية ، فإن ذلك يكون تعصبًا . انظر : فيليب ماسون : فكرة صائبة عن الأجناس والعنصرية – تعريب : شوقي طموم – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٦٧ – ص ٥٧ .

[١] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١٢٦ – ١٢٧ .

[٢] برتراند رسل : محاورات برتراند رسل – ترجمة وتقديم : جلال العشري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٩ – ص ١٦١ .

عليه من اضطهاد وجمود عقلي . وأكبر مثل في التاريخ على هذا النوع الأخير من التعصب هو حكم الكنيسة ، الذي ظل من القرن الرابع إلى القرن السادس عشر [١] .

ويحدد رسل الأسباب الرئيسية للتعصب – من وجهة النظر التاريخية – وهي : الشقاء والفقر . ويتطلب القضاء على التعصب ، باستثناء الحالات النادرة التي يكون فيها انحرافًا عند أشخاص شاذين ثلاثة أشياء : الرخاء ، الأمن ، وتربية تحررية [٢] .

وعن الظروف التي سمحت بظهور التعصب ، فإن رسل يعطي مثلاً لها ، ويعتبره أبغض الأمثلة على التعصب لأنه أبرزها على الإطلاق ، وهو معاداة السامية . ويؤكد أن معاداة السامية ظهرت بظهور المسيحية ، لأنها قبل ظهور المسيحية كانت أقل بكثير ، ففي ذات اللحظة التي دانت فيها الدولة الرومانية بالديانة المسيحية ، بدأت تعادي السامية . وأرجع رسل السبب في ذلك إلى أن الرومان قالوا أن اليهود هم الذين قتلوا المسيح ، وبالتالي كان لديهم ما يبرر كراهيتهم لليهود ، ويؤكد رسل أن المسألة كانت وراءها دوافع اقتصادية ، ولكن كان هذا هو التبرير [٣] .

ويؤكد رسل أن التعصب دائمًا ما يكون موجهًا نحو سيئ الأفعال ، لأنه إنما ينطوي على التحيز ، ودائمًا ما يتضمن قدراً من

---

[١] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١٢٨ .

[٢] المصدر السابق : ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

[٣] برتراند رسل : المحاورات – ص ١٦٢ – ١٦٣ .

الكراهية ، فالإنسان يكره من لا يشاركه تعصبه ، وهذا شيء لا يمكن اجتنابه [١] .

ويفسر رسل ازدياد الناس ونموهم في جماعات التعصب ، بأن هذا يعطيهم شعوراً دفيناً بالتآزر ، فأفراد الجماعة من جماعات التعصب ينتابهم الشعور بالارتياح ، كلما أحسوا أنهم جميعًا أخوة فيما بينهم ، وأنهم كلهم إنما يلتفون حول تحقيق نفس الهدف ، وهو ما نراه واضحًا في أي حزب سياسي ، ففي أي حزب سياسي ، تجد دائمًا جماعة من المتعصبين ، وقد ضمتهم نفس المصالح ، وعندما تزداد هذه المصالح ، وترتبط بالحقد على جماعات أخرى ، فإن التعصب ينمو ويتكاثر [٢] .

ويرجع رسل التوتر الموجود بين الشرق والغرب ، والذي يهددنا جميعًا بأقصى درجات الفزع ، يرجعه في أساسه إلى التعصب الأعمى ، فكلا المعسكرين يؤمن بأن عقيدته وحدها هي الأقوى ، فهو يطالب بإلحاح أن يدمر خصمه ، وأن يقضي عليه ، وعنده أن هذا التدمير أهم بكثير من مصير الجنس البشري كله ، وهذا هو التعصب الذي يهددنا جميعًا [٣] .

ولعل أهم سبب للتعصب كما يرى رسل هو عدم الإحساس بالأمن ، وينتشر عدم الإحساس بالأمن في الوقت الحاضر في جميع

---

[١] برتراند رسل : المحاورات – ص ١٦٤ .

[٢] المصدر السابق : ص ١٦٣ .

[٣] المصدر السابق : ص ١٦٨ .

أنحاء العالم ، بعد رؤية العالم لآثار وفظائع القنبلة الهيدروجينية ، والحرب البكتريولوجية . ويدفع جو الرعب هذا الناس إلى التعلق بالخرافات ، وإلى ممارسة ألوان من عدم التسامح تزيد الخطر حدة بدلاً من أن تقلل منه .

ونقول ختامًا للحديث عن هذه القضية ، أن رسل يعتبر أن قدراً كبيرًا من الشرور التي يعاني منها العالم يرجع إلى نزعات التعصب [1] ، وإذا أريد للتعصب أن يقل ، فإن أول خطوة يجب أن تكون هي البحث عن وسيلة للإقلال من الشعور بعدم الأمن ، وهذا الأمر عسير في الحالة الراهنة للسياسة العالمية ، ولكن لابد منه إذا أريد تجنب الكارثة [2] .

رابعًا : العلم الحديث واكتشاف أسلحة الدمار الشامل

كان إنتاج القنبلة الذرية في عام ١٩٤٥ ، بداية سلسلة متلاحقة من التطورات التكنولوجية . ولما نجح الاتحاد السوفيتي في إنتاج قنبلته الذرية ثم الهيدروجينية ، اتجهت الثورة التكنولوجية اتجاها ينذر بالخطر البالغ ، إذ أصبحنا نشهد سباقا عنيفا بين أكبر دولتين في العالم وهما : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، على تطوير الأسلحة النووية وتحسينها ، وزيادة طاقتها التدميرية ، وابتداع أحدث وسائل نقلها وإطلاقها وتصويبها على الأهداف . وإزاء هذا السباق

---

[1] برتراند رسل : المحاورات – ص ١٦٧ .

[2] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١٢٩ .

العنيف ، وقفت الشعوب جميعًا تتساءل عن المصير الرهيب إذا ما اشتدت حدة التوتر الدولي وانتهت بحرب نووية .

وما من إنسان يعرف بالتجربة وعن طريقها ، ماذا يكون طابع الحرب النووية وعواقبها ، فإن ذلك شيء لم يحدث قط في هذا العالم ، فالاختراعان النوويان اللذان أسقطا على هيروشيما ونجازاكي قرب نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانا من طراز استهلالي جدًا ، وهما لا يعطياننا إلا انطباعًا ضعيفًا ومضللاً ، عن العواقب التي ينتظر أن تترتب على استخدام أعداد ضخمة من الأسلحة النووية . على أن هناك من الدلائل الكثيرة ما يشير إلى أنه حتى أشد التكهنات تطرفًا ، قد لا تظهرنا أن فيها شيء من المبالغة [1] .

هذا ما فطن إليه برتراند رسل ، وقرر أن اكتشاف أسلحة الدمار الشامل كان له الأثر السيئ على الاتجاه نحو الحرب ، يقول : إن القنبلة الذرية وأكثر منها الهيدروجينية ، قد أوجدت مخاوف جديدة تدعو إلى الشك في تأثير العلم على الحياة الإنسانية . وقد أشار بعض الثقاة الأجلاء منهم أينشتاين ، إلى أن هناك احتمالاً لفناء كل أثر للحياة على هذا الكوكب ، نتيجة لاكتشاف هذه الأسلحة المدمرة ، فلعلنا الآن

---

[1] أرنولد توينبي : محاضرات أرنولد توينبي – ترجمة : فؤاد زكريا – الدار القومية للطباعة والنشر – ١٩٦٦ – ص ٥٢ . وعن خطر الحرب النووية انظر : جون ستراتشي : حول منع الحرب – ترجمة : عبد العزيز جاويد – الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر – ١٩٦٥ – ص ٣٣ وما بعدها .

نعيش في آخر عصر من عصور الإنسان ، وإذا كان الأمــر كذلــك ، فإنه سيكون مدينًا للعلم بفنائه [١] .

وفي إشارة منه إلى أثر العلم الحديــث علــى الاتجــاه نحــو الحرب ، وأثر الحرب على العلم ، يقول رسل : كانت الحرب طــوال التاريخ هي المصدر الرئيسي للتماسك الاجتماعي ضد المعتدي ، ومنـذ بدأ العلم أصبحت الحرب هي أقوى حافز للتقدم التقنــي [٢] ، لأن كـل فريق من الفرقاء المتحاربين يحاول أن يطور من أسلحته حتى ينتصـر على الفريق الآخر ٠٠٠ وهكذا .

ويشير رسل إلى أن سباق التسلح من حيث هو قاعدة ، يــؤدي إلى الحرب حتمًا ، فأغلب سباقات التسلح التي يذكرهــا رسـل مــن التاريخ انتهت بالحرب . ويعتقد رسل أن المسألة طبيعيــة جــدًا مــن الناحية السيكولوجية ، وذلك لأن التسلح على أحد الجانبين يؤدي إلــى الخوف والكراهية وإلى المزيد من التسلح على الجانب الآخر ، وهــذا بدوره يؤدي إلى قدر أكبر من التسلح على الجانب الأول ٠٠٠ وهكـذا ينمو التسلح ويتكاثر ، وتتوتر أعصاب الناس وتزداد توترًا ، إلــى أن يصل بهم الأمر إلى درجة عدم الاحتمال والتفكير فــي أن أي شــيء آخر أفضل من احتمال التوتر . هذا ما يحــدث عــادة فــي ســباقات

---

[١] برتراند رسل : أثر العلم في المجتمع – ص ٨٢ .

[٢] المصدر السابق : ص ٣٠ – ٣١ .

التسلح ، وهو ما حدث بالفعل قبل عام ١٩١٤، أي قبل الحرب العالمية الأولى [١] .

ويذكر رسل أن نوبل الذي كان من أشد المدافعين عن قضيـــة السلام ، هو نفسه الذي اخترع الدينـــاميت ، وقـــد ظـــن أن اخـــتراع الديناميت سيجعل من الحرب شيئا مروعا ، بحيث لا يفكر أحد في قيام حرب أخرى على الإطلاق ، ولكن الأمور لم تسر وفقا لما كان يشاء ، ويخشى رسل أن يتكرر نفس الشيء بالنسبة للقنبلة الهيدروجينية [٢] .

وعن الخوف من صناعة القنبلة الهيدروجينية في أكثر من بلـــد يرى رسل أن ذلك أمر خطير ، ولكننا لا نستطيع أن نتحاشى الخطـــر طالما كانت هناك استعدادات سياسية جديدة ، وحتى لو لم توجد القنبلـــة الهيدروجينية لدى أحد ، فستظل لديهم نظرية صنعها ، وإذا ما نشـــبت الحرب ، فما أسرع صنعها بالنسبة لكلا الجانبين . وعلى ذلك فلا يظن رسل أننا نستطيع أن ندرأ ذلك الخطر ما لم نتوصل إلى سبيل يجعلنـــا نتفادى شبح الحرب [٣] .

---

[١] برتراند رسل : المحاورات – ص ١٧٧ – ١٧٨ . وعن سباق التسلح ومخاطره انظـــر : هرمـــان كاهن : سباق الأسلحة وبعض مخاطره – ضمن كتاب : نزع السلاح والرقابة علـــى الأســـلحة – إشراف : دونالد ج برينان – ترجمة : راشد البراوي – ط١ – مكتبة النهضة المصرية – القـــاهرة – ١٩٦٢ – ص ١٠٣ وما بعدها . وانظر المعنى نفسه في : راشد البراوي : نحو عالم جديـــد " تطـــور الفكرة الدولية – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٤٥ – ص ١٣٥ .

[٢] برتراند رسل : المحاورات – ص ١٨٠ .

[٣] المصدر السابق : ص ١٨٤ .

ويرى رسل أن هناك عدة إجراءات عملية ممكنة للحد من خطر القنبلة الهيدروجينية ، أولها وأكثرها سهولة هو وقف التجارب الهيدروجينية ، فهذا من شأنه أن يساعد على الحد من خطر هذه القنبلة ، فهو في المقام الأول سيوقف تساقط الغبار الذري الذي أصبح أسوأ بكثير مما كان يتصوره الخبراء . ومن ناحية أخرى فإن إيقاف التجارب الهيدروجينية سيمنع ظهور قوى أخرى جديدة ، وطالما كانت القنبلة الهيدروجينية موجودة في الوقت الحاضر ، وطالما كانت الفرصة سانحة أمام أية حكومة لا تقدر مسئولية الإقدام على عمل طائش ، وهي الفرصة التي تتزايد بتزايد انتشار هذا السلاح ، فإن الصعوبة في إيقاف استخدام القنبلة الهيدروجينية تصبح بالغة إلى حد كبير . وعلى ذلك يصبح من الضروري في رأي رسل الوصول إلى اتفاقية بإيقاف إجراء التجارب الهيدروجينية ، وهو إجراء عملي من الناحية السياسية ، ويمكن أن يوضع موضع الاعتبار [1] .

والخطوة الثانية التي تلي هذه الخطوة الأولى ، هي الوصول إلى اتفاقية بألا تحرز القوى الجديدة هذه القنبلة الهيدروجينية ، ويطالب رسل بلده بريطانيا الدخول في هذه الاتفاقية [2] .

وختامًا للحديث حول هذه القضية نقول أنه مهما تكن الحرب قبل النووية من البشاعة والرهبة ، ومهما يكن من عمق الجراح التي

---

[1] حول حظر التجارب التي تطور أسلحة الدمار الشامل ، انظر : جون كراتشي : حول منع الحرب – ص ٢٠٠ وما بعدها .

[2] برتراند رسل : المحاورات – ص ١٨١ – ١٨٢ .

كانت تحدثها في جسم المجتمع البشري ، فإنها كانت على كل حال مستقيمة مع صيانة الحضارة وتنميتها ، وكانت في الواقع مقبولة من حيث هذا المعنى . أما الحرب العامة أو الكلية - وقد أصبحت نووية ، فإنها من المحقق أنها شيء غير مقبول ، لأنها لا تستقيم والتطور البشري ، كما أنها شيء يتناقض حتى وبقاء الجنس البشري .

هذه هي أسباب الحرب كما رآها برتراند رسل ، والتي من شأنها أن تعوق قيام الحكومة العالمية . ويرى رسل ختاما لحديثه حول هذه الأسباب ، أنه يجب علينا أن نكرس أنفسنا لإظهار مدى الكارثة التي تحل بجميع الأطراف من جراء الحرب ، وليس لبيان كيف تحقق النصر للجانب الذي ننتمي إليه ، وإلى أي حد يكون انتصارا جميلا . والأمر الذي يجب أن يكون واضحا هو أنه إذا وقعت حرب فإن المنتصر ، حتى إذا كان انتصاره كاملا – وهو أمر بعيد – سيخرج منها أسوأ حالا مما كان قبلها [1] .

[1] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ١٣٠ .



الفصل الثالث

موقف برتراند رسل من الدولة القومية ذات السيادة

مدخل :

تناولنا في الفصل السابق " أسباب الحرب " ، والتي من شأنها أن تمنع قيام " **الحكومة العالمية** " ، وسوف نتناول في هذا الفصل موقف برتراند رسل من الدولة القومية ذات السيادة ، وهو موقف نعتبره امتداداً طبيعيًا لآرائه حول أسباب الحرب . وقد آثرنا مناقشة هذا الموقف في فصل مستقل عن الفصل السابق ، لما لهذه القضية " الدولة القومية ذات السيادة " من أهمية جد خطيرة في مسار فكر برتراند رسل السياسي . وسنحاول من خلال هذا الفصل الإجابة عن السؤالين الآتيين من وجهة نظر رسل وهما :

– أيهما تكون له الأولوية في ترتيب الأهداف ، مجتمع دولي موحد يتمثل في حكومة عالمية ، أم مجتمعات وطنية أو قومية فرادى ؟ .

– هل تعني الوحدة بين الشعوب ، وامتثالها جميعًا لسلطة واحدة تتمثل في حكومة عالمية ، أن تتلاشى الفردية ، أو تتلاشى الشخصية التي تميز كل دولة عن الأخرى ؟ . وبعبارة أخرى : هل تتعارض الوحدة العالمية مع مبدأ السيادة والقومية التي ترغب كل دولة أن تتمتع به ؟ .

نستطيع القول أن نقطة البدء عند رسل في طريقه لتحقيق الحكومة العالمية ، تتمثل في ضرورة العمل على هدم ، أو على الأقل

إضعاف الإطار الأناني المتمثل في فكرة الدولة القومية ذات السيادة المطلقة .

وقد تؤخذ كلمة السيادة هذه على أنها رمز للميراث السياسي من عصر النهضة ، إلا أنه من الواجب استعمالها في أوسع معانيها ، إذ يجب أن تشمل أولاً فكرة الحكومة المستقلة المستقرة ، وثانيًا مبدأ ظهور الإحساس بالقومية ، التي يقصد بها أن كل جماعة مستقلة من الناس يجب أن يفسح أمامها مجال واضح للنهوض بنفسها .

وتهتم السياسة الحديثة اهتمامًا كبيرًا بالدولة ذات السيادة ، ونقصد بذلك مبدئيًا أن الدول ذات الحكومات المستقرة متساوية . ويعتبر هذا نقضًا لفكرة السيد الأعلى التي كانت سائدة في العصور الوسطى ، أي أن الدولة صاحبة السيادة لا يكون مركزها أقل من مركز أية دولة أخرى ، مهما كانت أعظم قوة وأكثر اتساعًا . ولكل دولة هذا شأنها مطلق التصرف في أمورها الداخلية ، كما أن لكل منها سلطة مركزية تحكمها . والمسألة على هذه الصورة ليست حقيقة واقعة فحسب ، بل أنه ينظر إليها على أنها حالة مستحبة ، ومن الواجب تنميتها . وليس هناك الآن من يعترض على وجود قوانين وحكومات مختلفة متميزة في البلدان المختلفة ، كما فعل دانتي ، إذ يبدو أن الحضارة تعتمد على بقاء حكومات كثيرة منفصلة [1] .

---

[1] من هنا نشأت فكرة القانون الدولي الذي يختص بالعلاقة بين الدولة والدولة ، دون أن يكتسب سلطة أعلى من سلطة الدول التي تنفذ أحكامه . انظر : دليل بيرنز : المثل السياسية – ص ١٤٤ .

هذا هو الرأي السائد في السياسة الحديثة ، إلا أن رســـل لـــه موقف مغاير لهذا الرأي سنعرفه من خلال محاور هذا الفصل .

أولاً : تعريف القومية عند برتراند رسل

لم تفلح جهود الباحثين التي بذلت خلال قرن كامل في دراســـة القومية ، في الوصول إلى تعريف دقيق مقبول لها . فقد حـــاول ذلـــك كثير من الباحثين الفرنســـيين والبريطـــانيين والألمـــان والإيطـــاليين والروس والأميركيين ، ولكنهم لم يصيبوا إلا حظوظـــا متفاوتـــة مـــن النجاح لم تكن كاملة على الإطلاق ، ووجد غيرهم نقصـــا أو إهمـــالاً واضطرابًا في هذه التعاريف ، فاضطروا من أجل النهوض بدراســـاتهم أو تأثرًا بفلسفتهم السياسية ، إلى وضع تعاريفهم الخاصة بهم . وبذلـــك لم يتحقق الوضوح اللازم إلا نادراً ، ونشأت عقبـــات عرقلـــت ســـير البحث العلمي .

وقد يكون من المستحيل التوصل إلى تعريف علمـــي قصـــير دقيق يتألف من جملة أو جملتين ، ويتضمن كـــل مـــا ينطـــوي عليـــه مصطلح " القومية " ، ويستثني ويستبعد كل ما هو خارج عنه ، ولكـــن برتراند رسل حاول ذلك ، وتوصل إلى تعريف نعتقد من جانبنـــا أنـــه يقترب من حقيقة هذا المصطلح .

يعَّرف برتراند رسل " القومية " بأنها : " هي المذهب القائل بأن الأفراد المتشابهين في التقاليد ، المتقاربين في المشاعر ، يكَّونون

بالطبيعة جماعات تسمى " شعوبًا " ، كل منها تتولى أمـــوره حكومـــة مركزية واحدة " [١] .

ويعتقد رسل أن الأسس التي تقوم عليها القومية اثنـــان همـــا : الميل الغريزي والغرض المشترك . وقد يبدو الغرض المشترك أكـــثر المصدرين أهمية من الناحية السياسية ، ولكن الغرض المشـــترك فـــي الواقع يكون نتيجة لميل غريزي أو نفور غريزي مشـــترك لا ســـبب لهما . ويؤكد رسل أن الجماعات البيولوجية – من العائلة إلى الشعب – تعتمد في تكوينها ، إلى حد قد يزيد أو ينقص على الميل الغريزي ، ثـم تقوم الأغراض المشتركة على هذا الأساس [٢] .

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٢٩ . يرى بويد شيفر ، أشهر من كتب في هذا المصطلـح ، في كتابه " القومية " ، أن القومية قد تعني في الوقت الحاضر ما يأتي : ١ – حب الأرض المشـتركة أو العنصر المشترك أو اللغة المشتركة أو الثقافة المشتركة . ٢ – أو رغبة في الاستقلال السياسي للأمـــة وسلامتها وهيبتها . ٣ – أو إخلاص غامض لكائن اجتماعي مبهم يعلو على الطبيعة يعرف أحيانـــا بالأمة (Nation) أو الشعب (Volk) ، هو أكثر من مجموع أجزائه كلـــها . ٤ – أو عقيـــدة خلاصتها أن الفرد لا يعيش إلا من أجل الأمة ، مع ما يتبع ذلك من أن الأمة غاية في ذاتهـــا . ٥ – أو أن يعتقد القومي بأن أمته يجب أن تسيطر على الأمم الأخرى سيطرة كاملة ، أو أن تكون لها بينـــها الكلمة العليا على الأقل ، بل وأن لأمته أن تتخذ الخطوات الكفيلة بتحقيق ذلك . ويرى شـــيفر أنـــه رغم صحة هذه التعريفات ، إلا أنها جميعًا أضيق من اللازم وأشد تخصيصًا ، ولو أننا بحثناها واحـــدة بعد أخرى على انفراد ، لوجدنا أن كلاً منها لا يصف إلا وجهًا واحدًا فقط من أوجه القومية ، مـــع أن القومية الحديثة تتكون من هذه المظاهر ومن غيرها جميعًا . انظر : بويد شيفر : القومية " عـــرض وتحليل " – ترجمة : جعفر خصباك ، عدنان الحميري – تقديم الدكتور : محمد بديع شـــريف – دار مكتبة الحياة – بيروت ، مؤسسة فرانكلين للطباعـــة والنشـــر – بغـــداد – نيويـــورك – ١٩٦٦ – ص ٦٩ .

[٢] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٣٢ .

يقول رسل شارحًا ظاهرة القومية : " هناك رغبة لـدى جميـع الناس في أن يقسموا إلى دول قومية ، وهذا بطبيعة الحال جانب مـن طبيعتنا الانفعالية ، أن يكون لدينا الاستعداد لأن نحب ونكره ، ونحـن من جانبنا نميل إلى ممارسة انفعـالات الحـب والكراهيـة ، فنحـب مواطنينا ، ونكره الغرباء ، ونحن بالطبع لا نحب مواطنينا إلا حينمـا نفكر في الغرباء ، أما حينما نكف عن التفكير في الغرباء ، فنحـن لا نتوجه إلى مواطنينا بكل هذا الحب " [1] .

ويميز رسل بين الأوجه الثقافية والأوجه السياسية لموضـوع القومية . فمن وجهة النظر الثقافية ، يرحب رسل بالتمايز والاختـلاف الثقافي ، ويرى أنه إضافة للإنسانية كلها ، وبالتالي يرفـض التمـاثل الثقافي الذي وجده في عالمنا الحديث . يقـول : " إنـه مـن الأشـياء المؤسفة جدًا في العالم الحديث تماثله بصورة غير عادية ، فلـو أنـك نزلت بفندق سياحي من فنادق الدرجة الأولى ، لن تتعرف فيه على أي ملمح من الملامح التي تدلك على انتمائه لأي قارة مـن القـارات ، أو لأي جزء من أجزاء العالم ، فكل هذه الفنادق متشـابهة مـع بعضـها البعض في جميع أنحاء العالم مما يضفـي عليـك شـعوراً بالملالـة والضيق ، ويحيل رحلتك الثرية إلى عمل شـاق لا يسـتحق العنـاء ، وذلك على العكس تمامًا مما لو قمت برحلة متواضعة ، لا شيء فيـها من مظاهر الترف أو الثراء ، هنا تستطيع أن تتعـرف علـى البـلاد الأجنبية ، وفي هذه الحالة فقط يكون لدينا الكثير مما يمكـن أن يقـال

---

[1] برتراند رسل : المحاورات – ص ١١٤ .

حول موضوع القومية ، حول أوجه التميز والاختلاف سواء في الأدب أو في الفن ، أو في اللغة ، أو في كل مظهر من مظاهر الثقافة " [١] .

ومن جهة أخرى يرفض رسل التمايز والاختلاف السياسي بين الشعوب ، والذي يؤدي إلى الحروب ، يقول : " إذا عدنا ونظرنا إلى موضوع القومية من وجهة النظر السياسية ، فإنها تصبح شرًا وبيلاً " [٢] .

إذن هذا المذهب " القومية " في رأي رسل ، مقبول من الناحية النظرية ، ولكن عند التطبيق نرى شيئًا آخر ، فيقول " القومي المضطهد " أنا أنتمي بمشاعري وتقاليدي إلى شعب " أ " ، ولكني تحت حكم حكومة يتولى مقاليدها شعب " ب " . وليس في هذا شيء من العدالة ، وذلك ليس فقط لأنه يتنافى ومذهب " القومية " ، ولكن لأن شعب " أ " الذي أنتمي إليه أفضل وأكثر تقدمًا ومدنية من شعب " ب" المتأخر الرجعي الهمجي ، ولذلك يجب أن يسمو شعب " أ " ويزدري شعب " ب " . ولا شك أن أفراد شعب" ب " لن يعيروا آذانًا صاغية لمطالب العدالة المجردة ، إذا كانت هذه المطالب مصحوبة بعداء وازدراء ، ثم لا يلبث شعب " أ " أن يسترد حريته كنتيجة من نتائج الحرب . ولكن الطاقة والشعور بعزة النفس اللذين استطاعا استخلاص الحرية ، يكونان قد ولدا قوة دافعة غالبًا ما تستمر مؤدية

---

[١] برتراند رسل : المحاورات – ص ١٠٩ – ١١٠ .

[٢] المصدر السابق : ص ١٠٩ .

إلى محاولة الفتح الخارجي ، أو إلى رفض رد الحرية إلى شعب أصغر [1] .

وهكذا ، فإن " القومية " المذهب المقبول من الناحية النظرية ، تؤدي في حركة طبيعية إلى الاضطهاد والحروب والفتح .

ويعطي رسل أمثلة عديدة ليدلل على رأيه ، فبمجرد أن حررت فرنسا نفسها من الإنجليز في القرن الخامس عشر ، بدأت فوراً في غزو إيطاليا ، وما أن تحررت أسبانيا من الحكم العربي حتى اشتبكت مع فرنسا في نضال استمر أكثر من مائة سنة ، وذلك من أجل السيادة على أوروبا .

أما ألمانيا فلها حالة تبعث على الاهتمام في هذا المجال ، ففي أوائل القرن الثامن عشر كانت الثقافة الألمانية فرنسية بحتة ، إذ كانت اللغة الفرنسية هي لغة البلاط الألماني ، وهي اللغة التي كتب بها " ليبنتز " فلسفته ، وهي اللغة السائدة التي كانت تكتب بها العلوم والآداب الرفيعة ، فلم يكن هناك أثر يذكر لوعي قومي . ثم جاء بعد ذلك عدد من الرجال النابهين ، الذين خلقوا شعوراً باحترام النفس في ألمانيا ، وذلك بما أنتجوه من شعر وموسيقى وفلسفة وعلوم . ولكن القومية الألمانية لم تظهر من الناحية السياسية حتى غزا نابليون ألمانيا ، وحتى ثورة الألمان ضده سنة ١٨١٣ . وبعد قرون كانت خلالها كل القلاقل التي حدثت في أوروبا تبدأ باجتياح فرنسا أو السويد

---

[1] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٢٩ – ٣٠ .

أو روسيا لألمانيا ، اكتشف الألمان أنهم إذا اتحدوا وبذلوا مجهودًا كافيًا ، استطاعوا صد الجيوش المغيرة عن بلادهم . ولكن المجهود الذي بذلوه كان أكبر من أن يقف عندما استنفذ أغراضه الدفاعية البحتة بعد أن هزم نابليون . والآن وبعد مرور مائة سنة ، لم تفقد الحركة شيئًا من قوة اندفاعها ، غير أنها تحولت إلى الاعتداء والغرور ، ولا يمكن الحدس عما إذا كنا على وشك أن نشهد نهايتها الآن [١] .

ثانيًا : الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية للقومية

يجب أن نوضح هنا أن مطالبة رسل بكسر الإطار القومي ، لا يعني دعوته إلى القضاء على القوميات ، ذلك أن للقومية جوانبها الإيجابية البناءة ، كما أن لها في الوقت نفسه جوانبها السلبية المدمرة .

وتتمثل الجوانب الإيجابية للقومية في رأي رسل ، في أن الفروق القائمة بين ملامح الأمم ، شأنها في ذلك شأن الفروق القائمة بين ملامح الأفراد ، فهي في حد ذاتها أمر صحي ومرغوب فيه ، ذلك أن هذه الفروق هي التي تتيح الفرصة لكل مجموعة قومية بتقديم مساهمة متميزة إلى الحضارة الإنسانية ، الأمر الذي يضيف في النهاية إلى رصيدها وتكون محصلته لها لا عليها .

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٣٠ – ٣١ . ويرى رسل في هذا المجال أن الأفريقيين والأسيويين يعانون من القومية بدرجة أكبر في الوقت الحاضر نظرًا لحداثة الموضوع بالنسبة لكل من القارتين ، ويعتقد رسل أن كلاً من القومية الأفريقية والقومية الأسيوية قد أصبحتا في الوقت الراهن أكثر ضراوة من تلك التي نشأت بين الأوربيين ، لأنهم لا يزالون حديثي عهد بها ، وهنا في نظر رسل هو الخطر كل الخطر . انظر : برتراند رسل : المحاورات – ص ١٢٢ .

وبعبارات رسل نفسها ، " ليـس مـن الضـروري ولا مـن المرغوب فيه أن نقضي على الفرق القائم بين الأمم المختلفة من حيث عاداتها وتقاليدها وأنماط معيشتها ، لأن هذه الفروق هي التي تمكن كل أمة من تقديم مساهمتها المتميزة إلى الحضارة الإنسانية ككل ، فليست المواطنة للعالمية هي ما نتطلبه ، لكننا نرغب في قيام نوع من الـروح العالمية التي هي شيء يضاف إلى حب الوطن ولا ينتقص منه ، تمامًا كما أن حب الوطن لا ينقص من حب الإنسان لمدينته " [١] .

يريد رسل أن يكون ما يتمناه الإنسان لوطنه أمرًا لا يتم علـى حساب الآخرين ، بل أنه يرى في أي تميز تحققه بلاده ميزة للعـالم كله [٢] .

ويؤكد رسل أن الشعور القومي حقيقة لا يمكن نكرانها ، كمـا يجب على المؤسسات ألا تتجاهله ، إذ أنه إذا تم تجاهله يقوى ويصير مبعثًا لنضال طويل ، ولا يمكن عندئذ رده إلـى حظـيرة السـلام إلا بتركه حرًا طليقًا ما دام غير عدواني [٣] .

أما عن الجوانب السلبية للشعور القومي ، فيرى رسل أنه ليس في ذاته من المشاعر المحببة أو الخيرة ، فكل ما يقيد ويحدد التعـاطف

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٨١ – ٨٢ ، وانظر له أيضًا : السلطة والفـرد – ص ٨٨ – ٨٩ ، مثل عليا سياسية – ترجمة : سمير عبده – دار الجيل – بيروت – ١٩٧٩ – ص ٦٧ .

[٢] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٨١ – ٨٢ ، وانظر له أيضًا : السلطة والفـرد – ص ٨٨ – ٨٩ ، مثل عليا سياسية – ص ٦٧ .

[٣] برتراند رسل : مثل عليا سياسية – ص ٦٧ .

العام للجنس الإنساني كله بغيض مقيت ، كما أن الشعور القومي فيـــه دائمًا عنصرية خفية أو وضوح من العداء للأجانب ، وما كـــان لـــهذا الشعور الوطني أن يوجد في أمة حرة تمام الحرية من ضغط خـــارجي من النوع العدائي [١] .

كما أن شعور الجماعة ينتج نوعًا ضارًا ضيقًا في الأخـــلاق ، فالبشر جميعًا يرون أن الخير هو ما ينفع جماعتهم ، والشر هـــو مـــا يتعارض ومصالحهم ، حتى ولو كان هذا الشر في مصلحـــة الجنـــس البشري كله . ونشاهد هذه الأخلاق الجماعية في أوقـــات الحـــروب ، وهي أمر مسلم به في التفكير العادي [٢] .

ويرى رسل أن الدول القوميـــة يمكـــن أن تتخـــذ " القوميـــة " كذريعة للعدوان مرة وللدفاع مرة ، حسب ما تراه يحقـــق مطامعـــها . يقول : " هذه الغايات الأساسية أي " القومية " ، هي ما تسميه الدولـــة لنفسها بوسائل " الدفاع " ، وما تسميه كل الـــدول الأخـــرى بأســـباب " العدوان " ، فالظاهرة هي الظاهرة ، ولكنها تتسمى بأســـماء مختلفـــة من كلا الجانبين ، والواقع أن الدولة ما هي في المقـــام الأول ســـوى هيئة تعمل على إبادة الأجنبي الغريـــب ، وهـــو مـــا تجعلـــه غايتـــها الأساسية [٣] .

---

[١] برتراند رسل : مثل عليا سياسية – ص ٦٧ .

[٢] المصدر السابق : ص ٦٧ – ٦٨ .

[٣] المصدر السابق : ص ٦٧ .

ويلخص رسل الأمر كله فيما يتعلق بالجوانب الإيجابية والجوانب السلبية للقومية ، بالقول : إذا كان من شأن القومية أن توقظ الشعور باحترام الذات لدى أي شعب ، وتجعله يشعر بالقدرة على تحقيق إنجازات كبرى ، فالقومية في كل هذه الحالات تكون مفيدة ونافعة ، ولكنها إذا انطوت على إلحاق الأذى بالشعوب الأخرى ، فلا يمكن النظر إليها نفس النظرة [١] .

كما أن " الوطنية عند الذين يدافعون عنها تكون حميدة إذا كانت تقف عند حب البيت وحب الوطن لدرجة كبيرة ، ففيما يتعلق بهذه الحدود تستحق الاحترام والافتخار ، ويجب أن لا يحتج عليها . فإنها مزيج من الأفكار ، مختصة جزئيًا بالحب الحقيقي للتربة وبالمحيطات المؤلفة لها ، وجزئيًا مع شئ ما مطابق لامتداد حب الأسرة .

ويعتبر برتراند رسل أن القومية هي الأشد خطرًا في وقتنا الحاضر ، لدرجة اعتبارها أخطر بكثير من تعاطي المخدرات . وإذا لم ننتبه لأخطار القومية ، فإن استمرار الحضارة يكون في خطر [٢] . وهذا القول معروف لدى جميع المدركين للشؤون الدولية ، فلابد من بذل التضحيات من أجل فضح هذا المخطط التدميري [٣] .

---

[١] برتراند رسل : المحاورات – ص ١١٩ – ١١٠ .

[٢] برتراند رسل : التربية والنظام الاجتماعي – ترجمة : سمير عبده – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٩٦٦ – ص ١٣٢ .

[٣] المصدر السابق : ص ١٣٣ .

ثالثًا

السلام وضرورة التنازل عن جزء من السيادة المطلقة للدول

يربط برتراند رسل بين السلام في العالم ، وضرورة التنازل عن السيادة المطلقة لكل الدول ، يقول : " من غير الممكن ضمان السلم في العالم ، أو البت في المسائل العالمية طبقًا لقانون دولي ، ما لم تتنازل الدول عن سيادتها المطلقة في علاقاتها الخارجية ، وتدع الفصل في مثل هذه الأمور في أيدي إدارة حكومة عالمية تشريعية وقضائية معًا .

ويؤكد رسل أن كل دولة عظمى تدعي أن لها السيادة المطلقة ، لا في المسائل الداخلية فحسب ، بل في أعمالها الخارجية كذلك . ويقود هذا الادعاء إلى الاشتباك بمطالب الدول العظمى الأخرى . ولا يمكن تجنب هذا الاشتباك إلا بوسيلتين : الحرب والسياسة . والسياسة في جوهرها التهديد بالحرب . وكما لا يوجد ما يسوغ للفرد أن يدعي أن له السيادة المطلقة ، فليس من حق الدولة ادعاء مثل هذه السيادة . وادعاء السيادة المطلقة معناه في الواقع إقرار المسائل الخارجية بالقوة المحضة ، فعندما تهتم دولتان بمسألة واحدة يعتمد الحسم لهذه المسالة على الاعتقاد بأي منهما هي الأقوى . وهذه هي الفوضى البدائية أو " حرب الجميع ضد الجميع " كما قال هوبز ، ووصفها بأنها المبدأ الأول للإنسانية [1] .

---

[1] برتراند رسل : مثل عليا سياسية – ص ٦٩ .

ويؤكد رسل أنه في مطالبته بالتنازل عن جزء من سيادة كـــل دولة ، لصالح المجتمع الدولي ، أن ذلك يحمي الـــدول مـــن ظـــاهرة التعصب ، لأن هناك رابطة قوية بين القومية والتعصب يقول : " فـــإذا ما كان هناك تمييز عنصري بين أمتيـــن متجـــاورتين ، هنـــا يتدخـــل التعصب العنصري ، ويزيد من حدة الشعور بالقومية لدى كل منـــهما ، ولو أن التعصب العنصري ليس نفس الشيء ، يعني أنه ليـــس بعينـــه القومية ، ولكن ما أيسر أن يكون حليفًا لها " [١] .

وفيما يتعلق بضرورة تنازل الدول عن جزء من سيادتها ليعـــم السلام العالم ، فإن رسل يقيس ما يمكن تحقيقه في المجال الدولي علـــى ما تم تحقيقه فعلاً في المجال الداخلي لكل دولة ، فلقد تنـــازل الأفـــراد عن جانب من حرياتهم وصلاحياتهم الطبيعية للنظام أو القانون ، فـــي مقابل أن يقوم نظام الدولة وقانونها ، بكفالة تمتعهم بما بقى لـــهم مـــن هذه الحريات ، ورد أي اعتداء قد يقـــع علـــى أحدهـــم أو بعضـــهم ، ممن قد تسول له نفسه الخروج على نظام المجتمع وقواعده القانونيـــة ، فالدولة تقوم بســـلطاتها التنفيذيـــة الثـــلاث : التشـــريعية والقضائيـــة والتنفيذية ، بتحديد مدى نطاق الحريات التي ينبغي سلبها ، كما ترســـم الأسلوب الذي يتم به كفالة التمتع بما بقـــى منـــها ، وتعيـــن الطـــرق والإجراءات التي يتم بها ردع كل اعتداء ، واستعادة كـــل مـــا يمكـــن استعادته من حق سليب ، أو التعويض عنه إن تعذر رده إلى صاحبه .

---

[١] برتراند رسل : المحاورات – ص ١٢٠ – ١٢١ .

ويرى رسل أن هذا الوضع هو الذي ينبغي أن يستهدف البشر تحقيقه على المستوى العالمي [1] .

كما يرى أنه يجب علينا في الحال أن نبحث لأنفسنا عن قومية عالمية [2] ، فالقومية القطرية ، هي بعينها الخطر الأكبر الذي يواجهه الإنسان في عصرنا الحاضر [3] ، ولهذا يجب أن يتعلم الناس وعي المصالح العامة للجنس البشري ، الذي يصبح الكل فيه واحدًا ، بدلاً من المصالح الموهومة التي تختلف عليها الأمم . وليس من الضروري - كما سبق القول - أن نقضي على الفروق في العادات والتقاليد التي تتميز بها الأمم المختلفة ، فهذه الفروق هي التي تجعل في مقدور كل أمة أن تضيف لونًا خاصًا إلى تراث المدنية والحضارة .

ومن ناحية أخرى ، فإن رسل لا يطالب بالكونية المطلقة واختفاء كافة الخصائص القومية كما سبق القول ، فمثل هذه الكونية نتيجة للخسارة لا الربح ، فالروح العالمية التي يرغب في رؤيتها روح أخرى مضافة إلى حب الوطن ، وليست شيئًا مأخوذًا منه . وكما أن الشعور بالوطنية لا يمنع الفرد من الإحساس بالحب لوطنه ، ولكنها تغير طبيعة ذلك الحب ، فالأشياء التي يشتهيها المرء لقومه لن تكون الأشياء التي يمكن الحصول عليها على حساب الآخرين ، بل الأشياء التي يكون تفوق البلد بها لمنفعة العالم كله . فسيرغب الفرد إذن أن

---

[1] برتراند رسل : نحو عالم أفضل - ص ٧٢ .

[2] برتراند رسل : المحاورات - ص ١٢٥ .

[3] المصدر السابق : ص ١٢٢ .

تصبح بلاده عظيمة في فنون السلام ، وأن تكون رفيعة الشأن في الفكر والعلوم ، وسامية في العدالة والكرم ، وسيرغب في أن تساعد البشر جميعًا في طريقهم إلى عالم من الحرية والتعاون العالمي ، الذي لا يمكن أن نرجو للإنسان سعادة بدونه [١] .

ويؤكد رسل أنه لو كان لدى الناس أي شعور قوي بوجوب الإخاء بين الشعوب ، لكانت القومية وحدها كافية لأن يعرف كل شعب حدوده . ولكن لأن شعورهم بوحدة الكيان لا يتعدى حدود مجتمعهم الخاص ، فلا شيء سوى القوة يضطر كل شعب إلى احترام حقوق الشعوب الأخرى ، حتى في الوقت الذي يطالب فيه هذا الشعب غيره باحترامهم حقوقه المماثلة [٢] .

ويطالب رسل بوجود مبدأ عام جديد يؤمن به الجميع مخلصين ، يهدف إلى تحقيق العدالة ، وذلك إذا أردنا أن تسوى هذه الخلافات كلها ، فهذه الحال من الشد والجذب الناشئة عن " تأكيد الذات " المتبادل ، لا يمكن أن تنتهي إلى إقامة العدالة إلا إذا تعادلت القوى مصادفة . فليس هناك فائدة ترجى من وراء أي محاولة لتدعيم النظم التي تقوم على السلطة ، حيث أن جميع هذه النظم لابد أن ينشأ عنها ظلم ، والظلم إذا نشأ لا يمكن أن يستمر دون أن يلحق أضراراً جسيمة بكل من يدافعون عنه ومن يقاومونه . وهذه الأضرار تجعل

---

[١] برتراند رسل : مثل عليا سياسية – ص ٧٥ – ٧٦ .

[٢] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٣١ .

الإنسان أكثر قسوة إذ يعمل على أن تصبح جـدران " الأنـا " أقـوى فتحيلها سجنًا بدلاً من أن تكون متنفسًا [١] .

ويؤكد رسل أن نمو الفرد الذي يسير في طريقه الطبيعـي دون عائق ، يعتمد على صلات عديدة مع الآخرين ، وهي صلات يجـب أن تأخذ طابع التعاون الحر ، لا صفة الخدمة الإجبارية . لقد كان التعـاون يأخذ طابع الإذعان وعدم المساواة ، في الوقت الذي كان يسـود فيـه الإيمان بالسلطة ، أما الآن فلا مناص من التعاون والمساواة المتبادلـة . فجميع الأنظمة ينبغي أن تعتمد ما أمكن علـى الاتحـاد القـائم علـى الرغبة ، لا على قوة القانون والسلطة التقليدية التي يتمتع بها أصحـاب السلطان ، وذلك إذا كنا نريد ألا نقـف فـي سـبيل النمـو الطبيعـي للفرد [٢] .

ويرى رسل أنه ليس من بين نظمنا الحالية نظام يسـتطيع أن يظل على قيد الحياة دون تغيير شامل إذا طبقنا المبدأ السابق . وهـذا التغيير واجب تمليه الضرورة حتى لا يتفكك العالم فيصبـح وحـدات منفصلة كل منها في حرب مع كل الوحدات الأخرى [٣] .

وفي نهاية الحديث عن هذه القضية ، يؤكد رسـل أن الإنسـان على صواب إذا استحوذت على أفكاره مصالح وطنـه ، أكـثر مـن استحواذ مصالح البلدان الأخرى عليها ، لأن أعماله أعمق تأثيرًا فـي

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٣١ .

[٢] المصدر السابق ونفس الصفحة .

[٣] المصدر السابق : ص ٣١ - ٣٢ .

أمته منها في أية أمة أخرى . بيد أنه من الواجب أن تختلف هذه النظرة في زمن الحرب عنها في زمن السلم ، ففيما يختص بالمسائل التي تهم الأمم الأخرى كما تهم أمته ، عليه أن يحسب حساب السلام العالمي ، وألا يدع تفكيره محصوراً بمصالح جماعته أو أمته . ويعطي رسل أمثلة ببعض الأماكن التي تجعل لها الأسباب الجغرافية الخاصة أهمية دولية عظمى ، كقناة السويس وقناة بنما . وفي مثل هذه الحالات يجب أن تخضع رغبات السكان المحلية للمصالح الدولية الكبرى [١] .

وأخيراً لا يعني حديث رسل عن ضرورة التنازل عن جزء من سيادة الدول لصالح المجتمع الدولي ، أنه يعني التدخل في الشئون الداخلية لهذه الدول ، بل بالعكس فإنه يطالب كل أمة باستقلالها في شؤونها الداخلية ، فلا يجب أن تتدخل دولة في الشؤون الداخلية لدولة أخرى [٢] .

---

[١] برتراند رسل : مثل عليا سياسية – ص ٦٨ .

[٢] المصدر السابق ونفس الصفحة .

الفصل الرابع

مقدمات ضرورية لتحقيق الحكومة العالمية

مدخل :

تناولنا في الفصل السابق موقف برتراند رسل من الدولة القومية ذات السيادة ، وعرفنا أنه رفض السيادة المطلقة للدول ، كما أنه – من جهة أخرى – لم يرفض التمايز الثقافي الذي يميز كل دولة عن الأخرى ، لأنه يعتبره إضافة للإنسانية جمعاء . أما على المستوى السياسي فإنه يعتبر هذا الاختلاف أو التمايز مؤديًا للحروب ، ومانعًا قيام اتحاد عالمي ، يضم العالم كله على هيئة حكومة عالمية .

وسوف نتناول في هذا الفصل ، بعدما عرفنا رفضه للدولة القومية من الناحية السياسية " العملية " ، نتناول موقفه حول الحكومة العالمية ، والمقدمات الضرورية التي يجب أن تتخذ للتمهيد لقيام هذه الحكومة . وقد رأينا تناول هذا الموضوع من خلال عدة محاور مقترحة .

أولاً : تربية النشء على قبول الآخر

الصلة بين التعليم والأيديولوجيا حقيقة ، لا يستطيع أن ينكرها إلا هؤلاء الذين يقفون غالبًا عند ما هو ظاهر ، دون العناية بمحاولة تعمق هذا الظاهر بحثًا عما يشكله ويحركه ، ومن هنا كان حرص الدول القومية على الإمساك بزمام التعليم ، بهدف

فرض الأيديولوجية المرجـــوة [١] ، فالدولـــة لا تعتمـــد فقـــط علـــى جهازها القمعي المكّون من البوليس والجيش والتشـــريعات القهريـــة ، بل في خلقهـــا ثقافـــة تضمن إخلاص المواطنيـــن ، حتـــى لأهـــداف متناقضة مع مصالحهم الحقيقية ، ولا يتأتى لها هذا إلا عـــن طريـــق التعليم [٢] .

وقد أدرك برتراند رسل هذه المقدمات ، وحاول أن يربط بيـــن السياسة التي تبتغيها الدولة القومية ، وبين التعليم كوسيلة من وســـائل تنفيذ هذه السياسة ، فهناك مجالات من التعليم يرى رســـل أنـــه مـــن الضروري الوقوف عندها طويلاً لما تمثله مناهج تدريسها الحالية مـــن أخطار فادحة ، وأهم هذه المجالات : التاريخ ، فتدريس التاريخ كمـــا لاحظ رسل ، يسير في خط متنـــاغم مـــع الـــهدف الـــذي يســـتهدفه المسؤولون عن السياسات التعليمية ، وهو خلق النعرة القومية بمعناهـــا الضيق في نفوس الناشئين ، وهو الأمر الذي يفّوت على البشـــر إدراك الدروس العظيمة التي كان يمكن أن يحققها تدريـــس التـــاريخ بشـــكل موضوعي [٣] .

---

[١] سعيد إسماعيل علي : فلسفات تربوية معاصرة – سلسلة عالم المعرفة – " ١٩٨ " – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٩٥ – ص ١٨٢ .

[٢] المرجع السابق : ص ١٨٤ .

[٣] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ١١٦ . وانظر حول هذا المعنى : فيليب تـــايلور : قصـــف العقول " الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي " – ترجمة : سامي خشبة – سلســـلة عالم المعرفة " ٢٥٦ " – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ٢٠٠٠ – ص ٢٥ .

ويعطي رسل مثلاً ليدلل على رأيه ، وهو معركة ووترلو ، وكيف تم تدريسها بطرق مختلفة حسب الغرض الذي تهدف إليه هذه الحكومة أو تلك ، فإن جميع الحقائق المتعلقة بمعركة ووترلو ، معروفة للجميع بقدر كبير من الدقة والتفصيل ، لكن هذه الحقائق تدّرس لتلاميذ المراحل الابتدائية في إنجلترا وفرنسا وألمانيا بشكل مختلف تمامًا في كل بلد من هذه البلاد الثلاثة ، فالطفل الإنجليزي العادي يتصور أن الدور الذي لعبه البروسيون في هذه الموقعة تافه يكاد لا يذكر . ويتصور الطفل الألماني أن ولنجتون كان قد هزم فعلاً لولا شجاعة بلوخر التي كسبت المعركة . ويرى رسل أن مثل هذا التحيز في تدريس وقائع معركة كهذه ، من شأنه أن يبعث الأمل في النصر في حالة قيام الحرب لدى المواطنين في كل بلد على حده ، ومن ثم يتحول الأطفال - هذه الإمكانية البريئة العديمة الحول والقوة - إلى أداة من أدوات العدوان والحرب في أيدي سلطات بلادهم الرسمية ، بدلاً من أن يكونوا أداة من أدوات الحب والسلام [1] .

ويرى برتراند رسل - استنادا لهذا - أن كل الدول القومية مخطئة في نظامها التعليمي ، إذ أنها تحرص حرصًا بالغًا في مناهجها التعليمية ، على أن تجعل النشء يتصور أن إبادة الأجانب عمل عظيم ، وتعتبر أن هذا غاية عليا لها [2] . وقد أوضح برتراند رسل أن

---

[1] برتراند رسل : نحو عالم أفضل - ص ١١٦ - ١١٧ .

[2] برتراند رسل : المحاورات ص ١١٠ - ١١١ . وينتقد هذا الموقف أيضًا فيليب تايلور في كتابه : قصف العقول - ص ٢٦ .

تدريس الوطنية في المدارس يؤدي إلى كراهيـــة التلاميـذ للشـــعوب الأخرى ، مما يؤدي إلى الحروب .

كما أن الدولة القومية في نظامها التعليمي ، تعمل على غـــرس الفكرة القائلة بأن " بلدي هي أعظم البلاد ، وأنها دائمًا على حـــق فـــي كل شيء ، في حين أن البلاد الأخرى هي دائمًا مخطئة تجاهنا " ، فـلا يجب في نظر رسل أن ننظر إلى البلاد الأجنبية مثل هذه النظرة [١] .

ويرى رسل أن النظم التعليمية كانت السبب الرئيسي في جعـل النزعة القومية أكثر خطورة ، فقد عاد علينا التعليم بالكثير والكثير جدًا من الأضرار ، حتى لقد تصور رسل في بعض الأحيان أنه ربما كـــان من الأفضل أن يظل الناس إلى الآن غير قـــادرين علـــى القـــراءة أو الكتابة ، فالسواد الأعظم من الناس عندما يتعلمون القراءة والكتابـــة ، يصبحون مهيئين لقبول كافة ألوان الدعاية ، والدعاية في كل دولة مـــن الدول خاضعة لرقابة الدولة ، ولا توجه إلا حسبما تشاء الدولة ، ومـــا تريده الدولة هو أن يكون المواطن على أهبة الاستعداد لأن يورد نفسـه موارد التهلكة لدى تلقيه أول إشارة [٢] .

ولكن لا يعني كلام رسل أنه ضد الوطنيـــة وتدريســـها فـــي المدارس ، في جميع الظروف والأوقات ، ولكنه يطالب فقط أن تقـــف

---

[١] برتراند رسل : المحاورات – ص ١١٢ . وإلى المعنى نفسه ذهب نيتشه ، انظر فؤاد زكريا : نيتشـه – سلسلة نوابغ الفكر الغربي – " ١" – ط٣ – دار المعارف – القاهرة – ١٩٩١ – ص ١٨٢ .

[٢] برتراند رسل : المحاورات – ص ١٢٤ ، وانظر له أيضًا : التربية والنظام الاجتمـــاعي – ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

عند حدود معينة ، فيرفض أن تتخذ دينًا لنا ، يقول : الوطنية شعور معقد أيما تعقيد ، يتكون من الغرائز الفطرية ، ومن المعتقدات الراسخة في الذهن ، فثمة حب الوطن والأسرة والأصدقاء ، ذلك الحب الذي يثير اهتمامنا بخاصة للمحافظة على بلادنا من الغزو ، وثمة هذه الغريزة الرقيقة التي تجعلنا نؤثر المواطنين على الأجانب ، ثم تلك الكبرياء المرتبطة بنجاح المجتمع الذي ننتمي إليه . إن ثمة اعتقادًا توحي به إلينا هذه الكبرياء ويؤيده التاريخ ، هو أن أمة الواحد منا تمثل تقاليد عظيمة ، وأنها رمز للمثل التي لابد منها للنوع الإنساني ، إلا أن هناك عنصرًا آخر ، فضلاً عن ذلك كله أكثر نبلاً وأشد تعرضًا للهجوم العلني هو عنصر العبادة ، عنصر التضحية الصادقة ، عنصر اندماج حياة الفرد وهو راضي النفس في حياة الأمة ، وهذا العنصر الديني من عناصر الوطنية ، عنصر جوهري لقوة الدولة مذ كان يسجل أحسن ما تنطوي عليه صدور الذين يؤمنون بالفداء القومي [١] .

والعنصر الديني من عناصر الوطنية يقويه التعليم ، ولا سيما العلم بتاريخ بلاد الإنسان وآدابها ، بشرط ألا يكون هذا مصحوبًا بعلم غزير عن تاريخ بلاد أخرى وآدابها ، وفي كل بلد متمدين ينصب كل ما يثقف به الصغار على محاسن أمتهم ، ومعايب الأمم الأخرى [٢] .

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ٤٨ .

[٢] المصدر السابق ونفس الصفحة .

ويربط رسل بين هذا النظام التعليمي ، الذي يركز على محاسن قوم الشخص ومعايب الأقوام الأخرى ، أي أن تتخذ الوطنية دينًا للفرد ، يربط بين هذا وبين أسباب الحرب ، يقول : ويحدث أن يعتقد الناس قاطبة أن أمة الإنسان نظرًا إلى فضلها الذي لا يسمو عليه فضل ، تستحق منه العون فيما تخوضه من المعارك ، أيًا كان الداعي الذي نشبت من أجله ، وتبلغ هذه العقيدة من الأصالة والعمق ، لدرجة تجعل الناس يحتملون خسائر الحرب ومتاعبها وويلاتها بالصبر البالغ ، وبنفس يكاد يملؤها الرضا ، وهي كجميع الديانات التي يؤمن بها أصحابها إيمانًا خالصًا ، تضفي على الحياة مظهرًا أساسه الغريزة ، لكنه مظهر يسمو بالحياة ويجعل الناس يكرسونها لغاية أعظم من أية غاية شخصية ، إلا أنها تشتمل على غايات كثيرة شخصية كأنها ذائبة فيها [1] .

ويرفض رسل - كما سبق القول قبل قليل - الوطنية إذا ما اتخذت دينًا ، لأنها في هذه الحالة كانت غير وافية بالمرام ، بسبب ما تفتقر إليه من الشمول ، وذلك لأن الصالح الذي تهدف إليه ليس إلا صالح الأمة التي ينتمي إليها الإنسان فحسب ، وليس صالح النوع الإنساني جميعه ، فالرغبات التي تثيرها في نفس الرجل الإنجليزي ليست هي نفس الرغبات التي تثيرها في نفس الرجل الألماني . وقد يكون العالم الذي يملؤه وطنيون عالمًا تملؤه المنازعات ، وكلما تأصلت جذور الوطنية في أمة من الأمم اشتدت فيها روح عدم

---

[1] برتراند رسل : نحو عالم افضل - ص ٤٨ .

المبالاة ، الذي يصل إلى حد التعصب بما تتعرض له الأمم الأخرى من الضرر [١] ، فالقومية إذن هي القوة الرئيسية التي تسوق حضارتنا إلى دمارها [٢] .

ويوضح رسل أنه في جميع أرجاء العالم الغربي ، يعلّم الأولاد والبنات على أن إخلاصهم الاجتماعي يجب أن يكون أولاً للدولة التي هم مواطنون فيها ، وأن واجبهم أن يتعلموا حسب توجيهات حكومتها ، فيتعلمون تاريخًا كاذبًا وسياسة كاذبة واقتصادًا كاذبًا ، كما يتعلمون الأعمال المشينة للدول الأجنبية ، ولا يتعلمون الأعمال المشينة لدولهم . كما يتعلمون أن جميع الحروب التي اشتركت فيها دولهم كانت حروبًا دفاعية ، بينما حروب الدول الأجنبية هي حروب عدوانية [٣] . ويتعلمون أيضًا أن الأمم الأجنبية ليس عندها أي سلوك اجتماعي ، وأن العناية الإلهية تدحض ألاعيبهم الشيطانية [٤] .

ويؤكد رسل أن كل أمة في تعاملها مع كل من سواها ، ترتكب العديد من الجرائم ، فالوطنية القومية عند تدريسها في المدارس ، تكون كشكل من الهستيرية الجماعية التي يكون الأشخاص لسوء الحظ عرضة لها . وينتقد رسل أولئك الذين يعتبرون أن على الأطفال

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٤٩ .

[٢] برتراند رسل : التربية والنظام الاجتماعي – ص ١٣٨ .

[٣] المصدر السابق : ص ١٣١ . وانظر المعنى نفسه عند نيتشه في : فؤاد زكريا : نيتشه – ص ١٨٣ .

[٤] برتراند رسل : التربية والنظام الاجتماعي – ص ١٣٢ .

أن يدرسوا المجازر الجماعية التي تحدث في الحروب ، كأنبل عمـــل للإنسان ، كما ينتقد أيضًا من يروجون للخدمة العسكرية كأنبل تحضـير للدفاع عن بلد الفرد الخاص (١) .

ويرى رسل أن الذين يعلمون الوطنية ، هم أنفسهم تعلموا علـى نظام خطأ ، فتعلموا أن الأجانب هم دائمًا شريرين (٢) .

ويذهب رسل إلى أن " العنصرية " التي هي سائدة حاليًـا فـي كل مكان ، هي بصورة رئيسية حصيلة المدارس ، ويجـب أن نـأتي على نهايتها ، وأن تسود التربية روح مختلفة (٣) .

وينتقـد برترانـد رسـل طـرق بعـض الطوائـف فـي التعليـم ، فـالروم الكـاثوليك يفضلـون أن يتعلـم أطفالـهم فـي مدارس الكاثوليك الرومانيين ، والبروتستانت يفضلـون جـوًا دينيًـا لطيفًا يعبر تقريبًا عن اعتقادهم ، فكل أمة تتـذرع بـالروح القوميـة لتتغلغل إلى مدارس الدولة ، وتعتبر هذا الشيء أهم العنـاصر لتربيـة المواطنين . ويعطي رسل مثلاً بأن النظام التربوي في ظل الشيوعية ، يختلف عن النظام التربوي الـذي يتلقـاه الأولاد فـي ظـل البـلاد الرأسمالية (٤) .

---

(١) برتراند رسل : التربية والنظام الاجتماعي – ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢١٠ .

ويؤكد رسل أن للوطنية من الناحية العملية أعداء آخرون كثيرون ، فمذهب العالمية ، أو مذهب القائلين بأن يكون للعالم كله عشيرة واحدة ، لا يمكن أن يكف عن الانتشار طالما أن الناس يحصلون على معرفة أكثر عن البلاد الأجنبية ، عن طريق التعليم والأسفار .

وثمة كذلك نوع من الفردية لا ينفك ينمو ، لون من ألوان الإدراك مؤداه أن كل إنسان يجب أن يتحرر ما وسعه التحرر ليختار غاياته بنفسه ، وألا يجبر بفعل حادث جغرافي على الجري وراء غايات فرضها المجتمع [1] .

ويطالب رسل الناس بأن يتعلموا تقديم صالح أكبر عدد منهم على صالحهم الخاص ، فلا يوجد ثمة سبب متين لوقوفهم من النوع الإنساني كله غير ذلك الموقف . إن الكبرياء القومية هي التي تجعل من اليسير لنزعات الناس نحو التضحية ، أن تقف بهم جامدين عند حدود بلادهم . ويؤكد رسل أنه ليس ضد الوطنية الإيجابية ، فإننا لا نستطيع إلا أن نضمر من المحبة لبلادنا أكثر مما نضمره للأمم الأخرى . وليس ثمة سبب يحملنا على أن نحب غيرنا من الأمم جميعًا بدرجة متساوية . وهذه نفسها هي حالنا مع الأفراد ، إذ لا يمكن أن نسوي في حبنا لهم جميعًا ، بيد أن أية ديانة سديدة سوف تؤدي بنا إلى

---

[1] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٤٨ – ٤٩ .

التلطيف من عدم المساواة في محبتنا للناس ، بحبنا للعدالة ، وبجعل أهدافنا عالمية بتحقيق أغراض البشر المشتركة [١] .

فإذا كنا حقًا نستهدف إقرار السلام في هذا العالم ، فإن وضع مناهج تدريس التاريخ يجب أن يتم تحت إشراف لجنة دولية تقوم بوضع الكتب المدرسية بشكل محايد ، يضمن تخليصها من مظاهر التحيز الذي تمليه اعتبارات القومية الضيقة .

ويجب أن توافق الحكومات على توحيد تعاليم التاريخ ، فالتاريخ يجب أن يكون تاريخ العالم أكثر مما يكون تاريخًا قوميًا ، وأن يركز على شؤون التربية أكثر من الحروب . فطالما أن الحروب يصر على تعليمها ، فيجب أن لا تعلم فقط من وجهة نظر المنتصر وأعمال بطولته . وعلى التلميذ أن يتأمل في ميدان المعركة فيما بين الجرحى ، وأن يعمل ليشعر بوضع المتشردين في الأقاليم المدمرة ، وأن يعمل مدركًا لجميع المآسي التي تتيح الحرب الفرص لها [٢] .

ويعتبر رسل أن عمل السلم يكون عبث إذا استمر هذا النظام في التعليم ، أي تعليم أخطاء الأمم الأخرى دون أمة الفرد الخاصة ،

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٤٩ . وإلى المعنى نفسه ذهب هربرت ريد في كتابه : التربية من أجل السلام – سلسلة الألف كتاب " ٥٣٧ " – مؤسسة سجل العرب – القاهرة ١٩٦٤ – ص ٢٩ وما بعدها .

[٢] برتراند رسل : التربية والنظام الاجتماعي – ص ١٣٤ .

في حين يعتبر أن معرفة أخطاء أمة الفرد يكـــون ذا فـــائدة كبـــيرة ، لتجنب أخطاء الماضي [(١)] .

وبإمكان التربية بسهولة إذا رغب النـــاس ، أن تنتـــج شـــعور وحدة العنصر البشري ، وأهمية التعاون الدولي ، فنضمن جيل تكـــون الحواجز الجمركية التي نجعل بها أنفسنا فقـــراء منخفضـــة ، والقـــوة العسكرية التي بها نهدد أنفسنا بالموت يمكن أن تزول ، والكراهية التي نقطع بها أنوفنا ، يمكن استبدالها بالإرادة الحسنة [(٢)] .

وإذا أردنا إزالة أسباب الحروب ، فـــلا ســـبيل إلـــى هـــذا إلا بواسطة إقامة سلطة دولية ، فإن تعليم الوطنية العسكرية سوف لا يخدم بعدها أي هدف ، كما سيضمحل حالاً لدرجة يصبح بها عديم الضرر . وسوف لا يكون هناك أي حاجة لدورات تدريب الضبـــاط أو للخدمـــة العسكرية الإجبارية ، ولا يكون هناك حاجة لتدريس تـــاريخ كـــاذب ، يمجد قتل الإنسان للإنسان كأسمى هدف لحياة فاضلة . إن إقامة ســـلطة دولية قوية ، تفرض حلولها في الخلافات ما بين الـــدول المتنازعـــة ، ستكون أحسن شكل من وجهة النظر التربوية كما من أي وجهة نظـــر أخرى [(٣)] .

[(١)] برتراند رسل : التربية والنظام الاجتماعي – ص ١٣٤ – ١٣٥ .

[(٢)] المصدر السابق : ص ١٣٦ .

[(٣)] المصدر السابق : ص ٢٢٦ – ٢٢٧ ، وانظر أيضًا : هربرت ريد : التربية من أجـــل الســـلام – ص ٤٦ .

وإذا كانت هناك حكومة عالمية ، فإنه مما لا شك فيه أنها سوف تمارس درجة معينة من الإشراف على جميع النظم التربوية ، وأنها ستمنع التعليم المتزايد للوطنية المحلية ، ومن الممكن أن تمنع العقائد التي تعتبرها هدامة [1] .

ثانيًا : الحد من الزيادة السكانية

يناقش برتراند رسل مشكلة الزيادة السكانية في البلاد الفقيرة ، من الناحية السياسية ، وكيف أن هذه المشكلة ستمنع قيام الحكومة العالمية وتنذر بالحرب .

ويؤكد رسل أنه إذا لم تحل هذه المشكلة ، سيكون من المستحيل رفع مستوى الأجزاء الفقيرة في العالم ، إلى مستوى قريب من مستوى الرخاء الذي تتمتع به في الوقت الحاضر الأجزاء الغنية . وإذا لم يعم شيء من المساواة الاقتصادية جميع أنحاء العالم ، ستوجد أسباب للغيرة والحقد ، تجعل أية حكومة عالمية معتمدة باستمرار على ممارسة القوة من جانب الأمم الأقوى . ومثل هذا الوضع يكون غير مستقر وخطر وقاس . وسيكون من المستحيل الإحساس بأن العالم على ما يرام ، إلى أن تتحقق درجة معينة من المساواة ، وقدر معين من الامتثال في كل مكان لسلطة الحكومة العالمية ، ولن يكون ذلك في

---

[1] برتراند رسل : التربية والنظام الاجتماعي – ص ٢٣٥ .

حيز الإمكان حتى تصير الأمم الأفقر حالاً متعلمة ، وتتقـدم أسـاليبها الفنية ، ويصبح عدد السكان فيها ثابتًا إلى حد ما [١] .

ويرى برتراند رسل أنه إذا كانت مشكلة الحـد مـن الزيـادة السكانية ، غير ذات أهمية في العصور السابقة ، فإن هـذه المشـكلة تزداد أهمية في هذا العصر عن العصور السابقة . ويرجع رسل ذلـك إلى أنه في الأزمنة الماضية كان معظم الأطفال يموتون فـي المـهد ، وكان معدل الوفيات بين البالغين مرتفعًا جدًا ، وكانت الغالبية العظمـى في كل بلد تعاني فقرًا مدقعًا . واليوم نجحت بعض الأمم في المحافظـة على حياة الأغلبية الساحقة من أطفالها ، وفي خفض معدل الوفيات بين البالغين إلى حد هائل ، وفي القضاء على الفقر المدقع تقريبًـا . ومـا كان هذا ليتم لولا انخفاض معدل المواليد . وتستطيع الأمـم الأخـرى التي ما زال المرض والفقر المدقع سـائدين فيـها ، أن تحقـق نفـس المستوى من الرفاهية بواسطة الأساليب نفسها . ومن ثم فإن هناك أملاً جديدًا للجنس البشري . وهو أمل لن يتحقـق إلا إذا فـهمت أسـباب الشرور الحالية ، وعلى رأسها الزيادة السكانية [٢] .

ويعطي رسل لمشكلة زيادة السكان ونقص الغـذاء بالتـالي ، أهمية كبيرة في أسباب الحروب ، يقول : قد يمكن تفادي خطر أزمـة غذاء عالمية بعض الوقت ، بتحسين أسـاليب الزراعـة ، ولكـن إذا استمرت أعداد السكان في التزايد بالمعدل الحالي ، فإن هذا التحسـين

---

[١] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ٩٧ .

[٢] المصدر السابق : ص ٩٧ – ٩٨ .

لن يكفي لفترة طويلة ، وسيكون هناك إذن فريقـــان : أحدهمـــا فقـــير يتزايد أفراده ، والآخر غني يظل ثابت العدد . مثل هـــذا الموقـــف لا ينتظر أن يستمر دون وقوع حرب عالميـــة . ولمنـــع وقـــوع سلســـلة متوالية من الحروب لابد من الإبقاء على عدد السكان ثابتًا في جميـــع أنحاء العالم ، مما يستلزم تدخل الحكومات في كثير من الدول ، وهـــو أمر يتطلب امتدادًا للتطبيق العلمي إلـــى مجـــالات شـــخصية جـــدًا ، ويقصد رسل بذلك تنظيم النسل ، فإنه يتجنب جلب العـــذاب والشـــقاء لغالبية البشر [١] .

وطالما أنه لا توجد حكومة عالمية سيستمر التنازع على القـــوة بين الأمم ، ويتفاقم خطر المجاعة بفعل تزايد أعداد السكان ، وسيصبح واضحًا أن القوة الوطنية " القومية " هي السبيل الوحيد لتجنب الجـــوع ، وسينتج عن ذلك تكتل الدول الجائعة ضد تلك التي ليست كذلك .

وإذا لم توجد حكومة عالمية تقر تنظيمًا عالميًا للنســـل ، فإنـــه لابد أن تحدث حروب عظمى من وقت لآخر ، تكون عاقبة الهزيمـــة فيها انتشار الموت بالجوع . ويؤكد رســـل أن الحربيـــن العظيمتيـــن الأولى والثانية ، قد أدتا إلى انخفاض مستوى الحضارة فـــي أجـــزاء متعددة من العالم ، ومن المؤكد أن الحرب القادمة ستفعل المزيد فـــي هذا الاتجاه .

---

[١] برتراند رسل : أثر العلم في المجتمع – ص ٣٢ . وانظر المعنى نفسه في : أرنولد توينبي : محـاضرات أرنولد توينبي – ص ٥٠ وما بعدها .

ويؤكد رسل أن الحاجة إلى حكومة عالمية - إذا كان لمشكلة السكان أن تحل بطريقة إنسانية - واضحة في المبادئ الداروينية ، فإذا وجدت لدينا جماعتان إحداهما في تزايد والأخرى ثابتة ، فإن الجماعة المتزايدة - إذا افترضنا تشابه بقية الظروف - سيأتي عليها وقت تصبح هي الأقوى ، وبعد النصر سوف تعمد إلى حرمان الجماعة المنهزمة من الغذاء مما سيؤدي إلى هلاك الكثيرين من أعضائها . وهكذا فإن الأمم التي تظل في تكاثر لا مبرر له ، ستحوز نصرًا بعد نصر . تلك ببساطة هي الصورة الحديثة للصراع القديم من أجل البقاء [1] .

ثالثًا : الخضوع للقانون مهما كان مشرّعه

يرى برتراند رسل أنه إذا كان للحياة الإنسانية أن تستمر برغم العلم ، أي برغم اكتشاف الأسلحة المدمرة للبشرية ، فإنه يجب على النوع الإنساني أن يتعلم ضبط العواطف ، الذي لم يكن ضروريًا في الماضي ، سيتعين على الناس أن يخضعوا للقانون حتى عندما يرون أنه مجحف وغير عادل . وعلى الأمم التي ترى أنها لا تطالب إلا بأقل قدر من العدالة ، أن تستسلم عندما ترفض مطالبها بواسطة هيئة محايدة . ويدرك رسل أن هذا الأمر غير ميسور ، ولكنه يقول إنه إذا لم يحدث ، فإن الجنس البشري سوف يهلك ، فلابد من الاختيار بين

---

[1] برتراند رسل : أثر العلم في المجتمع – ص ١١٤ – ١١٥ .

الحكمة والموت ، والذي يقصده رسل بالحكمة هو الرضا بحكم القانون كما تصدره هيئة دولية [١] .

وإذا قرر الجنس البشري أن يدع نفسه يحيا ، " أي يأخذ بخيار السلام " ، فإنه سيتعين عليه أن يحدث تغيرات عنيفة في أساليب تفكيره وشعوره وسلوكه . يجب أن نتعلم ألا نقول أبدًا أن الموت أفضل من العار . يجب أن نتعلم الخضوع للقانون ، حتى لو فرضه علينا الغرباء الذين نمقتهم ونحتقرهم ، والذين نراهم عميانًا عن كل اعتبارات الحق [٢] .

ويعطي رسل أحد الأمثلة توضيحًا لرأيه ، وهذا المثل هو علاقة العرب مع إسرائيل . ويرى أن على العرب واليهود أن يوافقوا على قبول التحكيم ، فإذا كان قرار التحكيم ضد اليهود ، فإن رئيس الولايات المتحدة سيجد نفسه مضطرًا إلى تأييد فوز الحزب الذي يعارضه ، إذ أنه لو وقف بجانب السلطة الدولية ، فإنه سيخسر أصوات اليهود في ولاية نيويورك . ومن ناحية أخرى فلو جاء قرار التحكيم في صف اليهود ، فإن العالم الإسلامي سيقابله بالسخط وسوف يؤيده جميع الساخطين الآخرين ، وسيكون واضحًا لكل من يتخذ

---

[١] برتراند رسل : أثر العلم في المجتمع – ص ٨٣ – ٨٤ . وانظر المعنى نفسه في : جيران في عالم واحد " نص تقرير لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي " ترجمة : مجموعة من المترجمين – مراجعة : عبد السلام رضوان – سلسلة عالم المعرفة " ٢٠١ " – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٩٥ – ص ٣٢٥ وما بعدها .

[٢] برتراند رسل : أثر العلم في المجتمع – ص ٨٣ .

موقف أحد الجانبين في هذا النزاع ، أن الموضوع أعظم أهمية من استمرار الحياة على كوكبنا . وهكذا فإن الأمل في أن يسمح الجنس البشري لنفسه بالحياة ضعيف بعض الضعف [١] .

وعلى الرغم من أن غاية الدولة القومية هي إحلال القانون محل القوة في علاقات الناس بعضهم ببعض ، إلا أن رسل يرى أن هذه الغاية لا يمكن تحقيقها على الوجه الأكمل ، إلا عن طريق حكومة عالمية ، لا يمكن إخضاع العلاقات الدولية بدونها للقانون [٢] .

ويطالب رسل بتطوير القوانين الموجودة ، فعلى الرغم من كون القانون خيرًا من القوة ، إلا أنه إلى الآن ليس الوسيلة المثلى لحسم المنازعات . إن القانون شديد الجمود ، وطالما رأيناه يؤيد ما هو في سبيله إلى الفناء ، وقلما نراه يؤيد ما هو في طريق النماء . وطالما أن السلطة المطلقة من الوجهة النظرية هي للقانون ، فلا جرم أن يكون القانون عرضة للتعديل بين الحين والحين ، بالثورة في الداخل والحرب في الخارج ، ولا يمكن تفادي ذلك بغير الاستعداد المستديم لتغيير القانون ، تغييرًا يتلاءم وميزان القوى في الوقت الحاضر ، فإذا لم يفعل العالم ذلك فستصبح البواعث الملجئة إلى استعمال القوة شيئًا لا يمكن مقاومته ، إن حالاً وإن مستقبلاً . وسيكون من اختصاص الدولة العالمية أو اتحاد الدول إذا أريد أن يكون اتحادًا ناجحًا ، أن يحسم في أمور العالم لا عن طريق المبادئ القانونية التي يمكن تطبيقها في

---

(١) برتراند رسل : أثر العلم في المجتمع – ص ٨٣ .

(٢) برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٥٥ .

محكمة العدل بلاهاي ، ولكن بقدر المستطاع ، على هدي النتيجة التي كانت تصل إليها لو أن هذه الأمور حسمت بالحرب . كما يجب أن تكون وظيفة السلطة العالمية جعل الالتجاء إلى القوة غير ضروري ، وليس إهدار قرارات مضادة للقرارات التي يمكن الوصول إليها بالقوة [١] .

ويرى رسل أن مبدأ السيادة القومية غير المحدودة ، يجب التخلي عنه ، كما يجب إيجاد الوسائل المناسبة لإخضاع العلاقات بين الأمم لحكم القانون ، بحيث لا تقوم دولة بعد الآن - كما يحدث في وقتنا الحاضر - بدور القاضي في نزاع هي طرف فيه ، وإذا لم يحدث ذلك فسوف يعود العالم بسرعة إلى البربرية [٢] .

نقد رسل للقانون الدولي المطبق على عهده :

تعرض رسل لقواعد القانون الدولي بالنقد ، وهو يرى أن هذه القواعد بصورتها المعروفة أبعد ما تكون عن تلك القواعد القانونية المرجوة لإقرار السلام ، لأن القانون الدولي بصورته الحالية يعترف بالسيادة المطلقة للأفراد المخاطبين بأحكامه ، ويقر حق كل دولة في شن الحرب كوسيلة من وسائل تسوية المنازعات . ومن ثم فإذا نشب خلاف بين دولتين أو بين مجموعتين من الدول حول أمر من الأمور ، فإن الكلمة النهائية يحددها شيء واحد ، هو أي الطرفين أكثر قوة .

---

[١] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٥٥ .

[٢] برتراند رسل : أثر العلم في المجتمع – ص ٤٤ .

وهو ما يصل بنا في النهاية إلى ذلك المبدأ الذي كـان يسـود الحالـة الفطرية الأولى للبشر ، وصوره " **توماس هوبز** " بأنه الحـرب التـي يشنها الجميع على الجميع .

كما عرض رسل لتجارب التنظيم الدولي المعاصرة ، كمنظمـة الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية المختلفة . ورأى أنها ما تزال بعيـدة كل البعد عن تمثيل السلطة العالمية المرجوة ، إذ أنها ما زالت تعـترف بحق السيادة المطلقة لأعضائها . وذكر أن هذا العيب كان في تجربـة عصبة الأمم أوضح منه في تجربة الأمم المتحدة ، حيث كـان نظـام العصبة يستلزم الإجماع التام من قبل جميع أعضاء جمعيتـها العامـة لإصدار أي قرار من القرارات ، فضلاً عـن أن هـذه الجمعيـة قـد استبعدت من عضويتها عضوين هامين من أعضاء الأسرة الدولية همـا ألمانيا وروسيا ، ولهذا فإن تلافي الأمم المتحدة لبعض نقائص عصبـة الأمم ، ربما يبعث الأمل في النفوس إلى أن تكون مثل هـذه المنظمـة الدولية الخطوة الأولى في سبيل تحقيق سلطة عالمية فعالة [١] .

رابعًا : إلغاء الجيوش الوطنية وتكوين جيش دولي

ينتقد برتراند رسل النظم السياسية الحاضرة ، والمتمثلـة فـي الدول القومية ذات السيادة ، لأن لكل منها قواتها المسلحة ، وكل منـها

---

[١] برتراند رسل : القوة – ترجمة : عبد الكريم أحمد – مراجعة : علي أدهم – مكتبة الأنجلو المصريـة – القاهرة – د . ت – ص ١٢١ وما بعدها ، وراجع أيضًا : نصار عبد الله : فلسفة برتراند رسـل السياسية – ص ١١٧ .

تعتبر أنها الحكم النهائي فيما يتعلق بحقوقها في أي نزاع ، وهذا سوف يقود العالم إلى الحرب . ويؤكد رسل أنه ليس هناك سوى طريقة واحدة يمكن أن نجعل بها العالم بمأمن من الحرب ، وذلك بإنشاء قوات مسلحة دولية واحدة ، تحتكر جميع الأسلحة الخطيرة [1] .

وينبغي أن تكون القوات المسلحة للحكومة العالمية ، هي القوات المسلحة الوحيدة التي يسمح لها بالوجود ، كما هو الحال بالنسبة لما هو قائم في الشئون الداخلية للدولة ، إذ يكون استخدام القوة

---

[1] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ٩٥ . وانظر المعنى نفسه في : حيران في عالم واحد – ص ١٤٠ وما بعدها . ونود القول أن فكرة إنشاء قوة عسكرية دولية ، ليست جديدة بالكلية ، ففي عام ١٩١٠ اقترح الكونجرس في الولايات المتحدة ، تشكيل لجنة لدراسة موضوع ربط بحريات العالم لتكوين قوة دولية للمحافظة على السلام العالمي ، مع فرض قيود على الأسلحة . وفي عام ١٩١٩ اقترحت الحكومة الفرنسية إنشاء قوة دولية مشتركة تحت قيادة هيئة دولية ، ثم جددت الحكومة نفسها اقتراحها بصورة أكثر تفصيلاً في عام ١٩٣٢ ، وقدم الاقتراح في الحالتين لمناسبة اقتراحات نزع السلاح . وفي مؤتمر دمباتن أوكس عام ١٩٤٤ طالب وفد الاتحاد السوفيتي والصين بتكوين قوة جوية دولية . وكانت النتيجة نصًا تضمنته المادة ٤٥ من الميثاق يلزم الدول الأعضاء بأن " تعد على الفور فرقًا جوية قومية للعمل الدولي المشترك للتنفيذ " . ولكن هذا الالتزام لا ينفذ إلا بعد اتفاقات خاصة ، وهذه لم تعقد أبدًا . ونتيجة لهذا لم يكن تجمع قوات الأمم المتحدة للعمل في كوريا عام ١٩٥٠ ، والشرق الأوسط سنة ١٩٥٦ ، والكونغو سنة ١٩٦٠ ، نتيجة تكوين سابق للقوات التي استخدمت في هذه العمليات ، وأصبحت الولايات المتحدة مسئولة عن جمع أفراد القوة العاملة في كوريا من الشعوب التي رغبت في ذلك . أما القوات العاملة في كل من الشرق الأوسط والكونغو ، فتكونت إلى حد كبير من فرق قدمتها شعوب قواها العسكرية صغيرة نسبيًا . انظر آرثر لارسن : الرقابة على الأسلحة عن طريق قانون عالمي – مقالة ضمن كتاب : طريق السلام الدائم " نزع السلاح والرقابة على الأسلحة " – ص ٤٠٩ .

مقصوراً على رجال البوليس ، كقاعدة عامة وباستثناء بعض الحـــالات المحدودة [1] .

ومن ثم فإن القوة المسلحة للحكومة العالمية يمكن أن تعد قـــوة بوليسية ، تناط بها مهمة ردع أفراد المجتمع الدولـــي ، ومنعـــهم مـــن استخدام القوة بشكل غير مشروع إزاء بعضهم البعض .

ويرى رسل أنه إذا أمكن تشكيل مثل هذه الحكومة وتزويدهـــا بمثل هذه القوة المسلحة ، فـــإن اســـتخدامها لقواتـــها ســـوف يكـــون أمرًا مؤقتًا ، إذ سرعان ما يرسخ سلطانها في وجدان أفراد المجتمـــع الدولي ، وتصبح طاعتها والامتثال لأوامرها ونواهيها أمـــرًا مســـتقرًا بمرور الوقت ، كما هو حال الأفراد داخل الدولة . وفي هذه المرحلـــة يصبح وجـــود القـــوات المســـلحة للحكومـــة العالميـــة أمـــرًا غـــير ضروري [2] .

كما يجب اتخاذ جميع الإجراءات التي قد تكـــون ضروريـــة ، لضمان ولاء القوات المسلحة للحكومة المركزية في كـــل الظـــروف . ويجب أن تحدد الحكومة العالمية قواعـــد معينـــة لاســـتخدام قواتـــها المسلحة ، وأهمها أنه لابد إذا حدث نزاع بين دولتين يجب على كـــل

---

[1] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٨٢ ، وانظر له أيضًا : مثـــل عليـــا سياســـية – ص ٧٠ ، وراجع أيضًا : نصار عبد الله : فلسفة برتراند رسل السياسية – ص ١١٦ – ١١٧ .

[2] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٦٥ ، وانظر له أيضًا : مثل عليا سياسية : ص ٧٠ .

منهما أن تخضع لقرارات الحكومة العالمية . وأي استعمال للقوة من جانب أي دولة ضد أي دولة أخرى يجعلها عدوة للعالم كله ، ويجلب عليها العقاب بواسطة القوات المسلحة للحكومة العالمية . وهذه سلطات جوهرية إذا أريد جعل المحافظة على السلام أمرًا ممكنًا [١] .

ويختتم برتراند رسل كلامه حول هذه القضية بالقول : " إذا قدر للإنسان أن يبقى على قيد الحياة ، فلابد للجيوش والأساطير البحرية ، وكافة القوات الجوية ، أن تتحول من القومية لكي تصبح عالمية ، حينئذ لن يضنيك التفكير طويلاً فيما إذا كانت إحدى الدول ستتخذ لنفسها الاحتياطات الوقائية خوفًا من أن تعلن عليها الحرب في يوم من الأيام " [٢] .

هذا على المستوى الخارجي ، الذي يتعلق بخلافات الدول بعضها مع بعض ، أما التوترات التي تحدث داخل كل دولة قومية ، فإنها – إذا ما كان للعالم جيش واحد – لن تنشأ على الإطلاق ، لأنها لن تجد أمامها الفرصة المواتية من ناحية العدوان الداخلي ، وبالتالي لن يحتاج هذا العدوان لأي نوع من أنواع الدفاع المحلي [٣] .

---

[١] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ٩٥ – ٩٦ .

[٢] برتراند رسل : المحاورات – ص ١١٥ .

[٣] المصدر السابق : ص ١١٧ .

خامسًا : تشجيع التعاون العالمي خارج إطار السياسة

يرى برتراند رسل أن العالمية يمكن أن تتحقق فـــي مجـــالات أخرى ، خارج إطار السياسة ، ويطـــالب بتدعيـــم هـــذه المجـــالات ، ويعطي لذلك أمثلة منها :

١ - عالمية التجارة :

ينتقد رسل النعرة الوطنية المتزمتة التي تعارض التجارة بيـــن الدول ، بحجة المحافظة على الصناعة الوطنية . والتي تفرض علـــى المواطن ألا يشتري أي سلعة من أي دولة أجنبية .

يقول : إن التجارة لا يمكن أن تقارن بالحرب ، فالرجل الـــذي يبيعك بضاعته لا يضرك في شئ ، وما من أحد يعد الجزار أو الخبـــاز من أعدائه لأنهما يمتصان أمواله . ولكن عندما تصل إلينا البضائع مـــن بلد أجنبي ، يطلب منا أن نعتقد أننا نقاسي كثيرًا مـــن شـــرائها . ولـــم يتذكر أحد في تلك اللحظة أننا نشتري هذه البضائع بصادراتنا إليـــهم . وفي هذا البلد الأجنبي سيعدون بضائعنا خطرًا عليهم ، في حين أنـــهم سيتناسون البضائع التي نشتريها منهم . فمفهوم التجارة الذي فرضـــه علينا المنتجـــون الذيـــن يخـــافون المنافســـة الأجنبيـــة ، بالشـــركات والاحتكارات ، وبالاقتصاديين المسممين بداء الوطنية ، هذا النظام فـــي جملته نظام باطل تمامًا . **فالتجارة تنتج عن توزيـــع العمـــل ، فلـــن**

يستطيع أي إنسان إنتاج كل ما يحتاج إليه من السلع ، ولذلك وجب عليه أن يبادل إنتاجه بإنتاج أناس آخرين [١] .

وما ينطبق على الأفراد ينطبق على الدول ، فلا داعي مطلقا لأن تنتج الأمة بنفسها كل ما تحتاج إليه من السلع ، وإنما من الخير أن تتخصص كل أمة في السلع التي تعود عليها بخير أكبر ، وأن تبادل ما يزيد عن استهلاك دولة أخرى بنوع أخر من بضائعها ، فليس ثمة فائدة من تصدير البضائع ، ما لم يكن ذلك لاستيراد بضائع أخرى . فالجزار الذي يستغني بلحومه عن خبز الخباز وأحذية الحذاء وملابس الخياط سيجد نفسه سريعا في حال بائسة [٢] .

وعلى ذلك ، فإن رسل ينتقد من يدعو إلى حماية البضائع الوطنية ، والذي يرغب في تصدير بضائعنا إلى الخارج ، دون أن نتسلم الأثمان على هيئة بضائع نستوردها من الخارج . ويؤكد أن نظام الأجور كان سببا في أن يعتقد الناس أن العمل هو ما يحتاج إليه الإنسان ، وهذا بالطبع وهم باطل ، فإن ما نحتاج إليه هو البضائع الناتجة عن العمل . وكلما نقص العمل الذي ينتج كمية معينة من البضائع كان ذلك أفضل ، ولكن وبسبب نظامنا الاقتصادي يهيئ كل توفير في وسائل الإنتاج ، الفرصة لأصحاب الأعمال لطرد عدد من موظفيهم ، ويسبب الحرمان لعائلاتهم ، مع العلم بأن هناك نظاما أقدم

---

[١] برتراند رسل : مثل عليا سياسية – ص ٧٣ . وانظر المعنى نفسه في : راشد البراوي : نحو عالم جديد " تطور الفكرة الدولية – ص ٢٠٩ وما بعدها .

[٢] برتراند رسل : مثل عليا سياسية – ص ٧٣ .

وأحكم ، ينتج زيادة في الأجور فقط ، أو التقليل من ساعات العمل مـــع عدم خفض الأجور . فنظامنا الاقتصادي نظـــام مضطـــرب ، يجعـــل مصلحة الفرد تتصادم ومصلحة الجماعة بآلاف الطرق ، فـــي حيـــن ينبغي عدم قيام هذا الاشتباك [١] .

٢ – عالمية العلم :

يؤكد برتراند رسل أن الأمم كلها تتفـــق فـــي كـــل مـــا يقيـــم الحضارة ، فالاختراعات والاكتشافات تجلب النفع للجميع ، وتقدم العلـــم من المسائل التي تهم العالم المتحضر كله . وسواء أكان العالم إنجليزيـــا أو فرنسيا أو ألمانيا ، فلا أهمية لذلك على الإطلاق ، فاكتشافاته مباحـــة للجميع ، ولا يتطلب الانتفاع بها إلا الذكاء ، وكل دنيـــا العلـــم والأدب عالمية ، وما يزدهر منها في بلد لا يملكه هذا البلد وحده ، وإنما يملكـــه الجنس البشري كله .

ويؤكد رسل أنه لا يوجد شيء تملكه أمة بمفردها ملكا مطلقـــا ، بل كلها أشياء يشترك فيها العالم أجمع ، وهؤلاء الذين يـــهتمون بـــهذه الأشياء ويقدرونها حق قدرها ، لن ينظروا إلا فيما يستطيع أن يفعلـــه الإنسان للعالم من خير ، فلن يعيروا الحدود القومية كبير اهتمام ، ولـــن يهتموا كثيرا بالدولة التي يدين الشخص بالولاء لها [٢] .

---

[١] برتراند رسل : مثل عليا سياسية – ص ٧٣ – ٧٤ .

[٢] المصدر السابق : ص ٧٤ .

ويؤكد رسل أن التعاون العلمي ، يمكن أن يجمع العلماء من جميع أنحاء العالم ، فهم " خلاصة الحضارة " على حد تعبيره ، لأنهم لا يشعرون بالانقسامات القومية ، فيتعاونون في الواجب المشترك ، وتبدو لهم الحزازات الدولية والقومية والسياسية تافهة عابرة باطلة [١] .

هذه هي الخطوات الضرورية التي استطعنا تتبعها من خلال كتب برتراند رسل ، والتي يرى أنها لابد أن تتخذ لتحقيق الحكومة العالمية .

تعقيب :

عرضنا من خلال فصول الكتاب المختلفة ، لعناصر كثيرة تدور جميعها حول الحكومة العالمية ، والعوائق التي تقف في سبيل تحقيقها ، وكيف نمهد لقيامها ٠٠٠ إلى غير ذلك مما يتعلق بهذا الأمر . والآن نتساءل : إلى أي مدى يمكن تحقيقها ؟ .

لا يعتقد رسل أن الجنس البشري لديه من المهارة السياسية أو من القدرة على التسامح المتبادل ما يكفي لإنشاء حكومة عالمية على أساس الرضا وحده . وهذا هو السبب في رأيه بالحاجة إلى عنصر من القوة لإنشائها والمحافظة عليها خلال السنوات الأولى من تجربتها [٢] .

---

[١] برتراند رسل : مثل عليا سياسية – ص ٧٤ – ٧٥ .

[٢] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ٩٦ .

ولكن على الرغم من أن القوة قد تكون ضرورية في مبدأ الأمر في بعض أجزاء العالم ، فإنه لن يستتب الاستقرار ولن تتوفر فرصة لإيجاد نظام تحرري وديموقراطي ، إلا إذا قضي على أثر بعض الأسباب الكبرى المعينة التي تؤدي إلى الصراع . ويقصد بذلك الظروف القائمة على صدام حقيقي بين مصالح جزء من العالم مع مصالح جزء آخر . وهي أمور يعتبرها كل من الطرفين من الأهمية ، بحيث يفضل القتال على التسليم فيها . إن مثل هذه الأسباب الصعبة للنزاع – كما حددها رسل – تدور حول مشكلات ثلاث : السكان والعنصر والمذهب [١] .

ويتساءل برتراند رسل : ما الذي يقف في طريق هذا كله ، أي في طريق تحقيق الحكومة العالمية ؟ . ويجيب عن هذا التساؤل بأنه ليست هناك عقبات فيزيائية أو تقنية ، ولكنها عواطف الشر في عقول البشر : الشك والخوف وشهوة السلطة والبغضاء . ويرى رسل أن هذه العواطف أكثر انتشارا في الشرق منها في الغرب ، ولكنها توجد في الغرب أيضا . ويؤكد أن الجنس البشري يمكنه الآن أن يبدأ السير حثيثا نحو عالم أفضل ، بشرط واحد هو إزالة الشعور المتبادل بعدم الثقة بين الشرق والغرب [٢] .

---

[١] برتراند رسل : آمال جديدة في عالم متغير – ص ٩٦ – ٩٧ .

[٢] برتراند رسل : أثر العلم في المجتمع – ص ١٠٤ .

هكذا يتضح لنا من خـــلال فصـــول الكتـــاب المختلفـــة ، أن برتراند رسل من أعظم دعاة السلام في عصرنا الحديث ، وقـــد بـــذل الكثير من الجهد في هذا الاتجاه [١] .

وقد يعتقد الكثير من الناس - وهو اعتقاد ســـائد - أن دعـــاة السلام قوم عديمو الإحساس ، ولا حمية لديهم ، فـــهم يســـتطيعون أن ينظروا إلى الأمور ويناقشوها عقليا في هدوء وكأنما الأمر لا يهمـــهم ، بينما إخوانهم يجودون بأرواحهم في سبيل الوطن .

ويدافع رسل عن دعاة السلام ، ضد هذا الافتراء ، يقـــول : إن دعاة السلام العاملون ليسوا من هذه الفئـــة ، فـــهم قـــوم لا تنقصـــهم النزعات الدافعة ، ولكن نزعاتهم تدفع إلى النفور من الحرب ، نزعـات فيها من القوة ما يكفي للتغلب على نزعة الحرب . إن الرجـــل الـــذي يقذف بنفسه معترضا تيار الشعور الوطني ، الرجل الذي يدافـــع عـــن قضية يخيل للناس أنه لا رجاء فيها ، ويعرض نفسه لقدح الناس فيـــه ، ويقاوم عدوى الشعور الجماعي ، ليس رجلا تنقصه الحمية [٢] .

---

[١] انظر جهود رسل لنشر الدعوة للسلام في كتاب خصصه مؤلفه لهذا الغرض هو :
Ryan , Alan : Bertrand Russell ; A political life – Hill and wang , New York , 1988 .

[٢] برتراند رسل : نحو عالم أفضل – ص ٢٣ – ٢٤ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : كتب برتراند رسل :

- التربية والنظام الاجتماعي - ترجمة : سمير عبده - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٦ .
- مثل عليا سياسية - ترجمة : سمير عبده - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٩ .
- محاورات برتراند سل - ترجمة وتقديم : جلال العشري - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٩ .
- القوة - ترجمة : عبد الكريم أحمد - مراجعة : علي أدهم - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - د ٠ ت .
- أثر العلم في المجتمع - ترجمة : محمد الحديدي - مراجعة : أحمد خاكي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٥ .
- أمال جديدة في عالم متغير - ترجمة : عبد الكريم أحمد - مراجعة : علي أدهم - دار القومية العربية للطباعة - القاهرة - د ٠ ت .
- نحو عالم أفضل - ترجمة ومراجعة : دريني خشبة ، عبد الكريم أحمد - سلسلة الألف كتاب " ٦٨ " - العالمية للطبع والنشر - القاهرة - ١٩٥٦ .

- السلطة والفرد - ترجمة : لطفية عاشور - سلسلة الألف كتاب الثاني - " ١٤٤ " الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٤ .

- حكمة الغرب - ترجمة فؤاد زكريا - ج ١ - سلسلة عالم المعرفة - " ٦٢ " - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٩٨٣ .

ثانيًا : المراجع العربية :

- الإبياري (محمد حسن) : المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكومة العالمية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٨ .

- الشريف (توفيق) : مشروع السلم الدائمة عند كانط - المجلة التونسية للدراسات الفلسفية - الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية - العدد ١٥ / ١٦ - ١٩٩٥ .

- أمين (عثمان) : الفلسفة الرواقية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٤٥ .

- بدوي (عبد الرحمن) : فلسفة القانون والسياسة عند إيمانويل كانط - وكالة المطبوعات - الكويت - ١٩٧٩ .

- البراوي (راشد) : نحو عالم جديد " تطور الفكرة الدولية " - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٤٥ .

- برستيد (جيمس هنري) : فجر الضمير - ترجمة : سليم حسن - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٩٥ .

- بيرنز (دليل) : المثل السياسية - ترجمة : لويس اسكندر - سلسلة الألف " ٤٩٩ " - مؤسسة سجل العرب - القاهرة - ١٩٦٤ .

- تايلور (فيليب) : قصف العقول " الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي " - ترجمة : سامي خشبة - سلسلة عالم المعرفة " ٢٥٦ " - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ٢٠٠٠ .

- توينبي (أرنولد) : محاضرات أرنولد توينبي - ترجمة وتقديم : فؤاد زكريا - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٦ .

- جربييه (بيير) : المنظمات الدولية الحديثة - ترجمة : محمد أحمد سليمان ، حسن الأشموني - مؤسسة سجل العرب - القاهرة - ١٩٦٣ .

- الخشاب (مصطفى) : تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة - ط١ - ١٩٥٣ .

- ريد (هربرت) : التربية من أجل السلام - ترجمة : حمزة محمد الشيخ - سلسلة الألف كتاب " ٥٣٧ - مؤسسة سجل العرب - القاهرة - ١٩٦٤ .

- زكريا (فؤاد) : نيتشه - سلسلة نوابغ الفكر الغربي - " ١ " - دار المعارف - القاهرة - ط٣ - ١٩٩١ .

- زيعور (علي) : أوغسطينوس ، مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة - دار اقرأ - بيروت - ط١ - ١٩٨٣ .

- ستراتشي (جون) : حول منع الحرب - ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٦٥ .

- شيفر (بويد) : القومية " عرض وتحليل " - ترجمة : جعفر خصباك ، عدنان الحميري - تقديم : محمد بديع شريف - دار مكتبة الحياة - بيروت ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - بغداد - نيويورك - ١٩٦٦ .

- عبد الله (نصار) : فلسفة برتراند رسل السياسية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٧ .

- علي (إسماعيل علي) : فلسفات تربوية معاصرة - سلسلة عالم المعرفة " ١٩٨ " - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٩٩٥ .

- العمري (أحمد سويلم) : أصول العلاقات السياسية الدولية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٧ .

- غالي (بطرس بطرس) : الحكومة العالمية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط١ - ١٩٥٦ .

- غالي (بطرس بطرس) : التنظيم الدولي - جزأين - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط١ - ١٩٥٦ .

- الفارابي " أبي نصر) : آراء أهل المدينة الفاضلة - تقديم وتحقيق : ألبير نصري نادر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٩٥٩ .

- كانط (إيمانويل) : مشروع للسلام الدائم - ترجمة وتقديم : عثمان أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة - ٢٠٠٠ .

- ماسون (فيليب) : فكرة صائبة عن الأجناس والعنصرية - تعريب : شوقي طموم - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٧ .

- مجموعة من المؤلفين : طريق السلام الدائم " نزع السلاح والرقابة على الأسلحة " - إشراف : دونالد ج برينان - ترجمة : راشد البراوي - ط١ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٦٢ .

- مجموعة من المترجمين : جيران في عالم واحد " نص تقرير لجنة إدارة شئون المجتمع العالمي " - مراجعة : عبد السلام

رضوان - سلسلة عالم المعرفة " ٢٠١ " - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٩٩٥ .

- هامرتون (جون ٠ أ ٠) وآخرون : تاريخ العـــالم - ترجمـــة : وزارة التربية والتعليم - ط١ - مكتبة النهضة المصرية - القـــاهرة - ١٩٤٨ .

ثالثًا : المراجع الأجنبية :

- Bingham , Alfred M. , : The United States of Europe , – 2 nd ed ., New Yor : Duell floan and pearce , 1940 .
- Cheever , Daniel S . and Haviland , H . Field , Organizing for Peace international Organization in world Afairs , U . s . A . Houghton Mifflin company , 1954 .
- Khanna , V . N . , : Major political Systems , 2 Vol . , Delhi : R . Chand and C . , 1972 .
- Leonard , L . Larry , International Organization , U . s . A . : The Mc-Graw – Hill book company , 1951 .
- Gettell , Raymond G . , History of Political though , vol . 1 , 15 impression , Great Britain . George Allen and Unwin , 1961 .
- Russell , Bertrand , History of western Philosophy , London : George Allen and Unwin Ltd . , 1946 .

- Ryan , Alan : Bertrand Russell ; Apolitical life – Hill and wang , New York , 1988 .

فهرس